نادى أعضاء هيئة التدريس
جامعة القاهرة

فى ذكرى إنتصار العاشر من رمضان

مصر في مواجهة إسرائيل

بين التاريخ والحاضر والمستقبل

المستشار / طارق البشرى

96
B6

نادى أعضاء هيئة التدريس جامعة القاهرة
لجنة الشئون العامة والإعلام
يناير ٢٠٠٣م

فى ذكرى إنتصار العاشر من رمضان

مصر في مواجهة إسرائيل

بين التاريخ والحاضر والمستقبل

المستشار / طارق البشرى

نادي أعضاء هيئة التدريس جامعة القاهرة

لجنة الشئون العامة والإعلام

يناير ٢٠٠٣م

مقدمة

في إطار سلسلة الحلقات النقاشية والمحاضرات التي تقوم بتنظيمها لجنة الشئون العامة والإعلام بنادي أعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة، عقدت بمقر النادي بمناسبة الاحتفال بذكرى العاشر من رمضان في مساء الجمعة ١٥ نوفمبر ٢٠٠٢م الحلقة النقاشية الخامسة للموسم الثقافي٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ تحت عنوان :

(مصر في مواجهة إسرائيل – بين التاريخ والحاضر والمستقبل)

وقد حاضر في هذه الندوة المفكر المصري الكبير، المستشار / طارق البشري، والذي نحسب أنه من أكثر المفكرين العرب في تاريخنا المعاصر عمقاً وقدرة على الرؤية والتحليل، وهو ما تبرز الحاجة الماسة إليه في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ أمتنا.

وقد بدأ المستشار البشري باستعراض قيمة انتصار العاشر من رمضان وأهميته بالنسبة لمصر في استرداد حقوقها في سيناء وفي استرداد كرامتها التي أمتهنت عام ١٩٦٧م، حيث أثبت هذا الانتصار عملياً قدرة الشعب المصري علي الصمود والتخطيط واتخاذ القرار ثم تحقيق الهدف، وكذلك استعرض سيادته أهمية هذا الانتصار كمصدر للشرعية السياسية للنظم القائمة من بعدها.

وانتقل المستشار / البشري بعد ذلك إلى مناقشة التحديات التي تفرض علينا اليوم المواجهة مع إسرائيل، للإجابة عن السؤال المهم حول هذه المواجهة، وهل ما زالت قائمة أم أنها انتهت بتوقيع معاهدة السلام مع إسرائيل؟

وقد اهتم الحديث باستعراض السياق التاريخي لعلاقة مصر بالصراع مع إسرائيل بدءاً من عام ١٩٢٩ حتى قيام الثورة في عام ١٩٥٢م، وعن البُعد الشعبي الرئيسي لهذا الصراع، والذي تحول إلى صراع عسكري بعد الثورة نتيجة التهديدات والاعتداءات الإسرائيلية العسكرية المباشرة علي مصر، ثم بيان أهمية وخطورة التهديدات الإسرائيلية علي الأمن القومي المصري (وهذا الموضوع قد تمت معالجته بالتفصيل من خلال الحلقة النقاشية الأولى التي عقدت في مايو ٢٠٠٢م بالنادي وتم من خلالها استعراض علاقة القضية الفلسطينية بالأمن القومي المصري تفصيلياً، وقام النادي بنشر هذه الحلقة بالفعل).

عرج المستشار / البشري بعد ذلك على استعراض آثار حرب العاشر من رمضان ومناقشة قضية أنها "آخر الحروب " كما قال الرئيس الراحل أنور السادات، ومن ثم انتقد النتائج السلبية التي أدت إليها معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل من انتقاص في السيادة والسيطرة الكاملة لمصر علي أرض سيناء، أو انتقاص في الإرادة الكاملة لتقديم الدعم الواجب للمقاومة الفلسطينية في كفاحها المشروع ضد الاحتلال الصهيوني كمحور رئيسي في الدفاع عن الأمن القومي المصري ذاته.

ثم استعرض المستشار البشري طبيعة المواجهة المصرية العربية – الإسرائيلية منذ عام ١٩٢٩م، وخلص إلى عدم جدوى الحرب النظامية بين العرب وإسرائيل في الوقت الحالي نتيجة التفوق العسكري والتكنولوجي لإسرائيل، والدعم غير المحدود لها من قبل أمريكا، ومن ثم فإن السبيل الوحيد هو المقاومة الشعبية والتي تجرى حاليا علي أرض فلسطين كرأس حربة للأمة العربية في مواجهة الكيان الصهيوني، والتي ثبت تاريخيا أنها الوسيلة الوحيدة للخلاص من الاحتلال، مما يستوجب البحث عن كافة الوسائل التي تتيح للشعوب العربية تقديم العون والمساندة المستمرة لهذا

النشاط الفلسطيني، ليس دفاعاً عن أمنهم واسترداداً لحقوقهم فقط، ولكن دفاعاً عن الأمن الجماعي لمصر وللعرب.

وقد تطرق المستشار / البشري إلى تصور مهم طرحه بقوة في كتاباته مؤخراً، وهو يتعلق بدور الدولة، في أي قطر عربي، في الحفاظ على الأمن القومي لهذا القطر، مما يوجب عليها إتاحة سبل تقديم الدعم الرسمي والشعبي الفعال في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ أمتنا إلى المقاومة الفلسطينية، من منطلق أنها هي السبيل الوحيد لإنهاء الاحتلال والقضاء عليه، وبالتالي الدفاع عن الأمن القومي للأقطار العربية نظراً للارتباط الواضح بينه وبين القضية الفلسطينية.

وفي هذا السياق فإننا رأينا أنه من المناسب أن نضيف في نهاية هذا الكتيب ملحقاً يوضح باختصار الآثار الإيجابية التي أحدثتها، ولا زالت تحدثها، الانتفاضة والمقاومة الفلسطينية بعد مرور عامين علي بدايتها، وذلك في ظل الكتابات والدعاوي التي ظهرت مؤخراً في العديد من الصحف ووسائل الإعلام، وحتى بين بعض المسئولين الفلسطينيين والعرب، لوقف أو تحجيم الانتفاضة بدعوى أنها لم تحقق شيئاً، ولم تجر علي الشعب الفلسطيني إلا المتاعب والتنكيل، ومثل هذه الدعاوي، سواء طرحت عن حسن نية أو عن سوء نية، لا تؤدي إلا إلى الفت في عضد الشعب الفلسطيني، وإشاعة الإحباط لدى الشعوب العربية واليأس من إمكانية تحقيق أي انتصار ذي قيمة علي المحتل الصهيوني الغاشم، والاستلاب غير المبرر لوسيلة الضغط الرئيسية التي تملكها الأمة العربية في الوقت الحالي.

وقد تم إثراء الحلقة النقاشية بالأسئلة والمداخلات القيمة من السادة الحضور، والتي قام المستشار / طارق البشري بالإجابة والتعليق عليها، وتطرق فيها إلى موضوعات التطبيع مع إسرائيل، واهمية تقوية

القوى الشعبية والديمقراطية ودور ذلك في إحداث بعض التوازن المطلوب، كما تحدث عن الدور الأمريكي وعن أهمية امتلاك القوة لكي يمكن الحديث مع أمريكا بمنطق تفهمه، حيث أن الحديث معها في إطار الحقوق هو حديث لا جدوى ولا طائل من ورائه. كما تطرقت المداخلات إلى أهمية تحقيق التقدم العلمي والبناء الاقتصادي السليم للدول العربية مع استمرار المقاومة التي تدفع الطاقات نحو الابتكار والبناء الحقيقي، وإلى أهمية سلاح المقاطعة، وإلى دور العقيدة والثقة بالله في موازين القوة بيننا وبين أعداء الأمة.

وبعد، فإن لجنة الشئون العامة والإعلام، وقد اختارت هذا الموضوع، في إطار معالجتها لأهم التحديات التي تواجه الأمة حاليا، ترى أهمية إطلاع المثقفين العرب علي ما جاء بالحلقة النقاشية من تفاصيل، وخاصة أنها تصدر عن مفكر مصري مخلص له وزنه الثقافي والفكري مثل المستشار طارق البشري .

والله الموفق والمستعان،،،

<u>القاهرة في ٣١ / ١٢ / ٢٠٠٢م</u>

أ.د / عمرو دراج

نائب رئيس مجلس إدارة نادي

أعضاء هيئة التدريس – جامعة القاهرة

مقرر لجنة الشئون العامة والإعلام بالنادي

أ. د / عمرو دراج :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أرحب بحضراتكم في هذه الندوة المباركة، وكل عام وأنتم بخير بمناسبة شهر رمضان المبارك، وأيضا بمناسبة ذكرى غالية وعزيزة علينا جميعا، وهي ذكرى انتصار العاشر من رمضان التي نحتفل بها اليوم في هذا اللقاء. هذه الذكرى لها مكانتها عند كل عربي وكل مسلم وكل مصري، وهو ما يستوجب إدامة التذكرة بها والتعريف بحقائقها، فقد كان هذا الانتصار واحداً من سلسلة انتصارات رمضانية مباركة استمرت علي مدار التاريخ بداية من غزوة بدر الكبرى وفتح مكة ومروراً بفتح الأندلس ومعركة عين جالوت..... وفي هذه المناسبة نستضيف ضيفا عزيزاً علينا جميعاً وهو سعادة المستشار / طارق البشري أحد كبار رجال الفكر وأعلامه في مصر والعالم الإسلامي، ليحدثنا عن المعاني التي يمكن أن نستشفها في هذه الذكرى المباركة، مع إلقاء الضوء علي الأحداث التي تمر بها الأمة الإسلامية في هذا الوقت من اعتداءات متواصلة وارهاصات لهجمات شرسة وما يترتب عليها من مهام كثيرة يجب القيام بها، فليتفضل سعادته .

المستشار / طارق البشري: بسم الله الرحمن الرحيم

حقيقة يشرفني أن أجلس اليوم بين حضراتكم وأن أكون محاضراً بعد أن كانت كافة مرات دخولي السابقة إلى جامعة القاهرة هي في موقع المتلقي. الموضوع اليوم يتعلق بالعاشر من رمضان والذي كان معركة مواجهة مسلحة بين جيش مصر وجيش إسرائيل وتحقق فيه النصر للجيش المصري.

والنقطة الأولى في هذا الأمر تدور حول السؤال: هل انتهت حقا هذه المعركة بين الطرفين أم أنها لا تزال مستمرة ؟ وقبل الإجابة علي هذا السؤال، يمكن إبداء عدد من الملاحظات:

أولا: أهم ما يتعلق بهذه المعركة أنها كانت المعركة التي حققت انتصاراً تاريخيا مهماً لأول مرة في تاريخ مصر منذ حروب محمد علي والتي توقفت منذ ١٨٤٠، فهي الانتصار الحقيقي الوحيد منذ نحو ١٣٠ سنة مما كانت له إيجابياته ودلالاته التاريخية المهمة.

ثانيا: إن هذه المعركة كانت معركة مصرية صرفة من الجانب المصري. فإسرائيل كانت مؤيدة سياسيا وعسكريا من قبل الولايات المتحدة حتى أثناء المعركة نفسها. بينما أقدمت مصر علي إخراج الخبراء السوفييت رغم اعتمادها بالأساس علي السلاح السوفيتي وذلك قبيل المعركة بنحو سنة ونصف أو سنتين، وقاد المصريون المعركة بعلمهم وذكائهم وخبراتهم وصمودهم دون أن يشاركهم في ذلك أي طرف خارجي، ومن ثم يحسب النصر صرفا لمصر، وكانت مصر مستقلة تماما في قرارها لشن هذه المعركة.

ثالثا: لولا هذه المعركة ما عادت سيناء إلينا إلى اليوم. ولنا أن نتخيل: ماذا لو أنها تأخرت إلى أن جرت التحولات الدولية من سقوط القطبية الثنائية وانفراد الولايات المتحدة بالكلمة في النظام العالمي، لو كانت هذه المعركة تأخرت لتعذر تخيل إنهاء الاحتلال العسكري لسيناء ولاستمرت علي نفس حال الضفة والجولان، وسائر الأراضي المحتلة، ولكانت أية محاولات للاستعادة ستتأخر إلى أجل بعيد .

رابعا: وبالمقارنة بمعركة ١٩٦٧م ، فإن هذه المعركة ردت إلى مصر كرامتها وردت إلى الجيش المصري كرامته. فالحقيقة أنه قد لحقنا

بسبب معركة ١٩٦٧م شئ من المهانة والمذلة، ولعل حضراتكم تعرفون، أن جيلنا ما منه من أحد كان يهتم بالشأن العام إلا وقد جرح في نفسه جرحا عميقا لاتزال آثاره باقية إلى اليوم، ولذا فقد كانت هذه المعركة بمثابة إعادة الروح لمصر شعبا وجيشا وصارت علامة علي اقتدار المصريين والجيش المصري وعلى القدرة علي الإنجاز وتحقيق النجاح.

خامسا: مثلت المعركة مصدرا للشرعية السياسيةللنظم السياسية القائمة من بعدها، بتعبيرات الأستاذ/ محمد حسنين هيكل، قامت شرعية نجيب من واقع إزالة النظام الملكي وإنهائه، وعبد الناصر اعتمدت شرعيته علي التطورات الثورية التي أحدثها، إلى أن جاءت معركة ١٩٦٧م التي أحدثت أزمة شرعية، فلما جاء السادات لم تكن للنظام شرعية موثوقة حتى جاء نصر ٦ أكتوبر ١٩٧٣م، وكان نصرا عسكريا سياسياً بنيت عليه شرعية النظام والنظم التالية عليه. ومن ثم لا بد أن نتدبر جيداً سياسات ما بعد ١٩٧٣م والتي سارت في اتجاه تأكيد هذه الشرعية لنتدبر إلى أي مدى سارت في هذا الاتجاه من الحفاظ علي نصر العاشر من رمضان والبناء عليه. فعلينا أن ننظر باهتمام شديد إلى هذا الحدث الضخم الذي صنعته الأيدي المصرية .

وهكذا سيكون حديثي فيما يلي منه عبارة عن استطرادات علي الحدث (العاشر من رمضان) أكثر من الحديث فيه نفسه، لا سيما ***في ظل التحديات التي تفرض علينا اليوم المواجهة مع إسرائيل*** ولنرى بأي معنى تقع هذه المواجهة وهل هي قائمة أم أنها انتهت؟

أولا: السياق التاريخي للصراع

حرب ١٩٧٣م كانت هي الحرب الرابعة بين مصر وإسرائيل خلال ربع قرن، حيث خاضت مصر قبلها حروب ١٩٤٨م، ١٩٥٦م، ١٩٦٧م ضد إسرائيل، وهذا كثير جداً ، ويمثل كثافة عالية لاحتدام الصراع أن يكون هناك خلال ٢٥ سنة من الوجود الإسرائيلي (الذي وصل إلى الخمسين سنة) لنا فيها أربع مواجهات عسكرية معها، انتهت بحرب أكتوبر ثم توقفت بمعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩م، بيد أن المواجهة بين إسرائيل وبين العرب ومصر لا تزال مستمرة. ويمكن تتبع العلاقة التاريخية لمصر بهذا الصراع علي النحو التالي:

- لما قامت حرب ١٩٤٨م كان هناك إجماع شعبي علي أن مصر مهددة بالحرب، وعلي شرعية خوض معركة مسلحة مع الصهاينة، وأن الخطر الصهيوني في فلسطين يمس بالضرورة مصر، والحقيقة أن تاريخ صراعنا مع إسرائيل يبدأ مع مطلع القضية ، ومنذ أن نشأ لدينا وعي بضرورة أن تكون لنا سياسة خارجية أو سياسة ما ، فقد أخذنا وقتاً طويلاً منذ أن وقع الاحتلال الإنجليزي ونحن نبحث عن وجودنا كمصريين وكشعب مصري، ولم تكن علاقاتنا بما هو خارج حدود مصر قد تبلورت بعد.

- بدأت العناية بالأمر مع ثورة ١٩٢٩ في فلسطين، فقد حصلنا علي استقلال شكلي عام ١٩٢٢م وجاءت حكومة وطنية أعقبتها تداولات ومبادلات للسلطة بين حكومة وطنية واخرى غير وطنية تتخللها مفاوضات مع الإنجليز تنجح وتفشل، لكن في العام ١٩٢٩م حدثت مصادمات حائط البراق (الذي يسميه اليهود حائط المبكى) حيث

وقعت مواجهة مسلحة بين عرب فلسطين واليهود هناك. هذا الحدث كان له أثر كبير فيما بعد.

- يلاحظ في هذا الصدد أن مصر كانت تمر بتحولات مهمة جداً، ففي عام ١٩٢٧م أنشئت جمعية الشبان المسلمين، وفي عام ١٩٢٨م أسست جمعية الإخوان المسلمين، وفي ١٩٢٩م وقعت مصادمات البراق. كان رد الفعل قويا جداً في مواجهة هذا الحدث حيث تشكلت عناصر الوعي بالعروبة لأول مرة في تاريخ الوعي المصري سياسيا، فقد كان هناك إحساس بالجماعة (الجامعة) الإسلامية وكان إحساساً قديماً وسائداً، أما الإحساس بالعروبة فلم ينشأ إلا عقب أحداث حائط البراق ولهذا سمى أحمد باشا زكي بشيخ العروبة لأنه نبه علي أهمية الجانب الشرقي لمصر، وظهرت اتحادات مثل الاتحاد العربي، و الاتحاد الشرقي... لتضم مجموعات من العناصر المهتمة بالفكر السياسي.... حتى إن طلعت حرب نفسه كان من المهتمين بهذا الأمر.

- في عام ١٩٣٦م وقعت الثورة الفلسطينية المعروفة ضد الانتداب البريطاني، وضد اليهود. هذه الثورةهي التي أثرت علي المصريين بشدة حتى إن هذا العام كان هو الذي شهد أول تحول للاخوان المسلمين نحو المشاركة في العمل السياسي مع أحداث الثورة الفلسطينية ١٩٣٦م، في هذا الوقت كان مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد، حزب الأغلبية المنادي بالاستقلال وبالديمقراطية – كان رئيس الوزراء و لم تكن سياسة الحزب تتعدى الحدود المصرية وقضايا الداخل سيما قضية الاستقلال. غير أن هذه الأحداث في فلسطين أفرزت تصريحا للنحاس يعد الأول من نوعه حيث قال : " إن مصر لن تقف صامتة أو مكتوفة الأيدي إزاء التهديدات علي حدودها الشمالية الشرقية " وبدأت مصر بالفعل تشترك رسميا في الموضوع

باشتراكها في مفاوضات المائدة المستديرة في لندن بين العرب واليهود والتي فشلت وكان ذلك أيام وزارة علي ماهر قبل قيام الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩م.

- قامت الحرب العالمية الثانية وانتهت في يونيو ١٩٤٥، وراح الشعب المصري يتحرك نحو قضيتيه الأساسيتين اللتين طالما تحرك نحوهما وهما : إجلاء الإنجليز عن مصر، ووحدة وادي النيل، ولذلك كانت مفاجأة شديدة أن يوم ٢ نوفمبر ١٩٤٥م يشهد اندلاع مظاهرات عارمة في مصر في ذكرى وعد بلفور الذي أعطى اليهود وعداً بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، وقد كانت مظاهرات تفوق في حجمها أو تماثل ما كان يحدث بالنسبة للمظاهرات الخاصة بمطلبي الاستقلال والوحدة مع السودان.

ومنذ ذلك اليوم تكرس في الوعي المصري أن الحركة الوطنية لا تسعى فقط لتحقيق مطلبي الجلاء عن مصر والوحدة مع السودان، إنما تسعى كذلك لمواجهة الخطر الصهيوني الذي تبدى في فلسطين. ومن هذا اليوم صارت فلسطين جزءاً من التكوين الوطني المصري، في حدوده المصرية الوطنية الإقليمية.

إنني اقول هذا لسبب أساس. لأنني فوجئت في برنامج الحزب الوطني الديمقراطي المعروض أخيراً، في مؤتمره عام ٢٠٠٢م، في مطلع البرنامج عبارة تقول " مركزية الهوية الوطنية التي حفظت علي الدولة وحدتها" هذه العبارة أثارت لدى شكوكا وشعورا بالقلق!! هل هناك توجه نحو انسحاب مصر عربيا وأن تنحصر داخل حدودها فقط وتتخلى عن انتمائها العربي والإسلامي؟ إن عبارة المركزية الوطنية المصرية أثارت لدى قلقا لأنه حتى في ظل هذه المركزية سابقاً والتي رفع الوفد رايتها فإن الوفد نفسه كان هو

الذي استشعر داخل هذه الدائرة بالخطر الصهيوني في فلسطين من منظـــور هويته الوطنية المصرية.

فهذه الهوية أو المركزية الوطنية لا تعفينا من النظر فيما يجري فـــي فلسطين، واعتبار أن المعركة الدائرة فيها هي معركتنـــا ومعركـــة مصـــير بالنسبة لنا، والتاريخ منذ عهد رمسيس وإلى الآن وعبر تطورات أكثر مـــن ألفي عام كان يؤيد أن خط الدفاع الأول والأساسي عن مصر هو بلاد الشـــام ولم تكن صدفة في التاريخ أن الفتح الإسلامي والدولة الإسلامية لم يكتمـــلا ولم يتوقفا حتى ضمت مصر إلى الشام، ولم تكن صدفة ألا يكتفـــي صـــلاح الدين ونور الدين محمود قبله بالشام حتى يضم إليها مصر، ولم تكن صدفـــة أن يؤثر سيف الدين قطز مقابلة المغول في عين جالوت بالشام وألا ينتظـــر حتى يلقاهم في مصر.....

فالسور العظيم لأمتنا هو هذه المنطقة بتكاملها، فهي ضرورات أمـــن قومي فرضت نفسها علي مصر والعرب عبر التاريخ، علي مصر والشـــام والحجاز، ولم تكن صدفة أن تكون أولى معاهدات عبـــد النـــاصر للدفـــاع المشترك، كانت أول معاهدتين، مع سوريا ومع السعودية ١٩٥٣م، ولم تكـن صدفة بعد ذلك ألا يحدث عبر الخمسين سنة الأخيرة أي التقاء مصـــري – شامي – سعودي في آن واحد معاً. فلا تكاد تقترب دولتان من الثلاثة فيمـــا بينهما إلا وكسر للجناح الثالث... ولم يجر خروج عن هذا الخط عبر كـــل هذه الفترة ، سمّ ذلك مؤامرة أو قدراً أو غير ذلك، لكنها حقيقـــة يمكنـــك أن تلاحظها بمراجعة التاريخ.

وفي هذا فإن تكوين إسرائيل له معنى مهم فلماذا اختار اليهود فلسطين ليقيموا فيها دولة إسرائيل؟ فليس في هذه الأرض مثلا مزارع قمح وقطـــن، وليس فيها شعب كبير يصلح كسوق للعمل أو للاســـتهلاك والتســـويق، ولا

ثروات مثلا ولا بترول، وليس بها ممر مائي استراتيجي مثل مصر علي سبيل المثال، إن أهمية هذه الأرض هي أنها فعلا تكسر هذا السور المتين وتمنع من إمكانية تواصله وتكامله.

وإذا لاحظنا الجدل الذي ثار من قبل حول قناة السويس، فالباب العالي ومحمد علي رفضا حفر هذه القناة (قناة السويس) لأنها ستكون بمثابة عازل لهاتين المنطقتين عن بعضهما البعض. كان التفكير يمضي بشكل تكاملي. اليوم هذا الممر مفيد لنا بلاشك، لكن ساعتها كان يفكر فيه ويعرض كعازل بإحساس عسكري وغير عسكري، وكانت السياسات ترتب علي أساس أن هذه المنطقة تكوين واحد، تكوين دفاعي واحد، وإن لم تقف كدولة واحدة.

المشروع الصهيوني في بداية التفكير في إقامته كان التفكير موجها نحو أوغندا! ولماذا أوغندا التي ليس بها يهود؟ عندما نتدبر نجد أن السبب النيلي هو السبب القائم أي التحكم في منابع النيل، ثم فكروا في إقامته في سيناء نفسها، وقد كان كرومر من معارضي هذه السياسة وأشار إلى أن فلسطين هي الخيار الأفضل، فهي تحيط بمصر، ورأى أن مصر لو وقفت داخل هذه الحدود عند خط ٢٢ شمالا (جنوب مصر) وخط العريش طابا فستبقى محاطة علي كل حال، ولن نتمكن من كسر هذا السياج إلا إذا كانت لها سياسة متعدية ومتجاوزة لهذه الحدود.

هذه الأمور تظل معاني وتجارب مختزنة في الوعي والضمير الوطني، وعندما خرج الناس يوم ٢ نوفمبر ١٩٤٥م كان وراء خروجهم هذا الشعور والوعي، وعندما تكلم النحاس باشا بتصريحه المذكور كان وراءه ذلك الشعور.

ثانيا: حرب أكتوبر ١٩٧٣م (العاشر من رمضان):

حرب ٧٣ قال عنها الرئيس السادات إنها آخر الحروب، وله تصريحات بذلك. والحقيقة أن هذا التصريح لم يكن – من وجهة نظر تاريخية – ملائما عندما صدر، لأنه نفرض أنك تفاوض وتسعى إلى إقامة سلام يعيد لك الحقوق، يفترض أنك بقولك هذا وإنهائك الحرب وقطع إمكانياتها وقبل ما تحصل علي شئ، فأنت تعزل نفسك عن إمكانية التحضير للمناسبة التي يمكن أن تستخدمها عند اللزوم. وضعت سلاحك بعد أن أشهرته قبل أن تفاوض، فأضعت علي نفسك نقطة من نقاط القوة في المفاوضة.

أقول هذا لسبب إننا مواجهون بقرارات من الجامعة العربية منذ العام ١٩٩٦م، وتصريحات تقول إن السلام صار خيارا استراتيجيا، إن هذا يذكرنا فوراً بمقولة السادات أثناء حرب ١٩٧٣م سنقف عند خط المضايق وأخذ عليه ذلك فلماذا نقول هذا؟ ما الضرورة؟ لماذا لا نترك الأمر مفتوحا لاحتمالات أفضل أو ما إلى ذلك ؟ نحن لا نقول هذا علي سبيل محاكمة التاريخ فتلك أمور مضت، لكن ينبغي أن نأخذ منها خبرة وعبرة، فعندما نركز فقط علي خيار وحديث السلام في ظروف يشهر فيها الآخر سلاحه علينا، فإن هذا أمر يستدعي إعادة التفكير.

ولذا نرى أن اتفاقية ١٩٧٩م أحدثت أمرين مهمين: الأول: أننا استرددنا سيناء، وهذا في حد ذاته مكسب لا يمكن أن نشكك فيه، وكان الفضل الأكبر فيه للفعل العسكري النشط والفعال، ولولم نكن قد فعلنا ذلك ساعتها ما كان لنا أن نفعله حتى الآن. والثاني: أننا بدأنا المفاوضة السياسية، بدأنا بالاعتراف بإسرائيل، لكن عقب ذلك بدأت مداخل التطبيع وصارت سيناء منزوعة السلاح وهنا لابد أن ننظر إلى الأمر جديا، فكمال

الاستقلال هو كمال السيطرة علي الأرض، وكمال الإرادة السياسية هو كمال إمكانية الدفاع عن هذه الأرض ... وعندما تكون سيناء كلها أو نصفها أو زد علي نصفها أو أنقص عنه قليلا – لا يهم، عندما تكون منزوعة السلاح فهذا أمر يمس الاستقلال الوطني والسيادة علي أرضنا، والحقيقة أن هذا الأمر تعرض لنسياننا فترة طويلة، رغم أنه يمس سيادتنا بشكل أساس.

الحقيقة نحن لم نكسب فقط سيناء في هذا الأمر، فالتطبيع الذي تكلمت عنه المعاهدة سار بخطى وإن كانت بطيئة، وهذا البطء مرجعه إلى عاملين: كراهية الشعب المصري ومكونات مجتمعه المدني من النقابات والاتحادات العمالية والمهنية ومنظمات العمل الأهلية وغيرها لإسرائيل وللتعامل معها هذا أولا، ثم موجبات الأمن القومي وأمن الدولة المصرية، لأنه لا يمكن في ظل السعي للحفاظ علي أمن الدولة أن ننسى أن الإسرائيليين لا يزالون أعداء، وأنه مابين آونة وأخرى تطفو علي السطح قضايا هذا التهديد من قضايا التجسس والعمالة، وعدم الكف عن محاولات التدخل في الداخل المصري حتى إننا – للأسف – تلقينا في الفترة الأخيرة أخبارا عن قطاع الزراعة وضلوعه مع العدو الصهيوني في أمور لم نكن نسمع بها من قبل.

تتبقى بذلك قضيتان أساسيتان :

- أن هناك ما يمس السيادة المصرية، بنقص السيطرة والسيادة العسكرية علي الأراضي المصرية فيما يخص سيناء، وهذا أمر يجب أن نضع في حسابنا أنه يجرح استقلال مصر، فعندما نتواجد مثلا في مؤتمر في شرم الشيخ أو دهب أو نويبع أو سائر هذه المناطق هناك، فإننا لا نجد أنفسنا تحت مظلة الحماية العسكرية المصرية.

- النقطة الثانية أثيرت أخيرا مع ما يجرى في الانتفاضة في فلسطين والدعوى للاستجابة للأمر بشكل أو بآخر بموقف جاد، تحركت المعاهدة،

ولم نستطع رسمياً أن نفعل شيئا سوى أن سحبنا السفير، لم نستطع أن نفعل شيئا أكثر من ذلك. وهذا أيضا يعتبر جرحاً للإرادة السياسية المصرية بموجب المعاهدة القائمة. فلابد أن نعي أن استقلالنا من حيث الإرادة السياسية وسيطرتنا ودفاعنا عن أرضنا مجروح حتى بموجب الهوية الوطنية المصرية كمركزية نعتمد عليها.

ثالثا: التهديد المستمر علي الأمن القومي المصري:

نشير إلى هذا الموضوع الواضح إشارات سريعة مختصرة نلاحظ أن أمريكا اليوم أعتبرت ما فعلته في أفغانستان من قبيل الدفاع عن النفس، وعن أمنها، وبالمثل ما تريد أن تفعله مع العراق. ولكن دعنا من هذا الجانب المشتمل علي انعدام الضمير – لكن المعلوم أنه في عام ١٩٦٠م لما وضع الاتحاد السوفيتي السابق صواريخ لحماية كوبا في مواجهة أمريكا، تحركت الولايات المتحدة وهددت بحرب عالمية إن لم ترفع هذه الصواريخ لأنها لا تطيق أن تكون هناك علي هذا البعد القريب منها صواريخ موجهة إليها... واقتنع العالم كله بهذه الحجة. أما نحن اليوم فعلي جوارنا تقع دولة خضنا معها أربع حروب دامية في خمسين سنة ولا تزال تتربص بنا الفرص ولديها سلاح نووي علي بعد ٢٠٠ – ٣٠٠ كم من القاهرة، .... إن هذا يدعونا علي الأقل إلى الإحساس بالقلق وألا ننام مطمئنين .

<u>رابعاً: طبيعة المواجهة:</u>

هذه المواجهة المصرية الإسرائيلية أو العربية الإسرائيلية إذا نظرنا إليها منذ عام ١٩٢٩م حتى الآن، كيف تمضي فيما بين الأمة والدولة؟

- أول تصد كان شعبيا سنة ١٩٢٩م ولم تتحرك الدولة مطلقا.

- التصدي الثاني كان عام ١٩٣٦م وكان شعبيا أيضاً لكن بدأت تظهر أمارات تأثر للدولة مثل تصريحات النحاس باشا.

- ما حدث في بدايات الأربعينيات ومع نهاية الحرب العالمية الثانية كان تصديا شعبيا أيضا.

- عندما بدأ قيام دولة إسرائيل ١٩٤٨م وخاض الجيش المصري الحرب ضدها، بدأت الحرب أساسا بمتطوعين مصريين ثم تحولت إلى حرب رسمية خاضها الجيش .

- عندما قامت ثورة ٢٣يوليو ١٩٥٢م كانت بداية فكرها تنصب علي ألا تشن مصر حربا ضد إسرائيل إنما تعمل مصر علي إعداد متطوعين يقومون بهذا الأمر، وكان ذلك نابعا من تجربة الكفاح المسلح التي واصلتها الثورة في مطلعها ضد الإنجليز في منطقة القناة، لكن الثورة شعرت أنه ينبغي ألا تجعل حربها وكفاحها يتم عن طريق منظمات شعبية، كما أن الدولة لا يمكن أن تعلن حربا رسمية ضد بريطانيا بينما الجيش المصري كان أضعف من أن يواجه قاعدة عسكرية إنجليزية قائمة في القناة، ومطلوب منها الدفاع عن مصالح بريطانيا والغرب في منطقة الشرق الأوسط كله . فيكف كان الحل؟

بدأ نوع من أنواع تحويل ضباط الجيش المصري والمتطوعين إلى القيام بأعمال تطوعية في منطقة القناة ، وبدأ دفاع أهلي شبه رسمي، معتمداً علي خبرة الضباط التي تفوق خبرات الأهالي والمدنيين بكثير (والمذكرات التي أثبتت عقب ذلك عن هذه الفترة توضح أن هذه الأعمال كانت بمثابة البذرة لإقامة جهاز الأمن المصري).

نجحت هذه الوسيلة في الضغط علي الإنجليز، الأمر الذي أسفر عن معاهدة الجلاء في أكتوبر ١٩٥٤م، التي علي أساسها تحقق الجلاء في ١٩٥٦م.

وبنوع من هذه الخبرة بدأت ثورة ٢٣ يوليو تتعامل مع إسرائيل، فتحت إشراف الإدارة العسكرية المصرية في غزة بدأ تدريب متطوعين من الجيش المصري من فلسطين، فجاءت إسرائيل وأحدثت حادثتين كبيرتين جداً، حيث ضربت الجيش المصري في الصابحة وغيرها، ضربوا الجيش المصري وعبروا الحدود المصرية، مرتين. هنا تحول عبد الناصر من استخدام أسلوبه الأول إلى المواجهة العسكرية الرسمية، فكانت صفقة السلاح التشيكية عام ١٩٥٥م وبدأ تسليح الجيش المصري وبدأت المواجهة العسكرية بين مصر وإسرائيل حتى جاءت حرب ١٩٥٦م التي كانت تمثل هزيمة عسكرية لكن خرج منها عبد الناصر بانتصار سياسي، ثم جاءت حرب ٦٧ثم حرب ١٩٧٣م .

عندما قال السادات إن حرب ٧٣هي آخر الحروب، يمكن أن نقول إن التي انتهت هي الحروب النظامية، لكن الحروب الأخرى لم تنته، لأن الحروب قد تكون نظامية أو تكون عن طريق التحرك الأهلي، فلابد أن ننظر إلى الأمر نظرة أكثر شمولا. فإذا اعتبرنا أن ما في فلسطين هو حركة ضد احتلال إستعماري فعلينا أن نعرف حقيقة أنه ما من حركة وطنية نضالية في العالم اتخذت من الحرب النظامية سبيلا إلى تحرير أراضيها ، اللهم إلا في أمثلة قليلة جداً، كحال الجيش المصري في تحرير سيناء وما فعله أتاتورك لتحرير اراضي تركيا التي اغتصبها اليونان عقب الحرب العالمية الأولى، فالأصل في التحرير هي الحروب الشعبية أو حرب العصابات. والفارق كبير جداً بين نوعي الحروب هذين .

فالحرب النظامية تعتمد علي قدرات تكنولوجية وخبرات فنية وعلمية وإنفاق كبير جداً وتكديس أسلحة كثيرة جداً، وهم في هذا متفوقون علينا، ولولا ذلك ما هزمنا وما أحتل العدو أرضنا. أما الحروب الشعبية فهي – كما قال ماوتسي تونج – حروب مختلفة، إذا تقدم العدو نتأخر، وإذا تأخر نتقدم، وإذا وقف نناوشه ، وإذا طاردني أهرب منه، فأنت محدود في أدوات الحرب أمام عدو عات ضخم، فعليك أن تتعبه وترهقه وألا تجعله يشعر بالراحة، فهو في احتلاله لأرضك يسعى لكي يستقر ويستفيد من احتلاله،فعليك أن تجعل احتلاله للأرض قلقا ومرهقا له ومكلفا أكثر منه مفيدا أو مريحا. وهذه هي الحروب الممكنة وكلها نجحت بهذه الطريقة في الصين وفي كوبا، فكوبا الصغيرة هذه نجحت في هذه الحروب ضد أمريكا وضد باتيستا رجل أمريكا الأول في هذه المنطقة، وبدأ الأمر مع كاسترو بنحو ثمانين رجلا تعرضوا للإبادة في الجبال حتى لم يبق منهم سوى عشرين، لكن كاسترو استمر وانتصر وخلع باتيستا خلال ثلاث سنوات، وهي نجحت أيضا في فيتنام حيث لقن الفيتناميون الأمريكيين درساً لا يزالون يذكرونه.

أقول هذا إشارة إلى ما يجري في فلسطين اليوم فأخيرا بعد سنوات من الحيرة أمكن أن يوضع الشعب الفلسطيني علي الخط السليم وهو خط الدفاع عن أرضه بالمقاومة الشعبية أساسا بما يجعل الوجود الاحتلالي صعبا ومكلفا وغير مفيد في نهاية الأمر. لكن هذا يحتاج إلى نفس طويل وإلى قدرة علي إمكانية الاستمرار بهذا الشكل، ويحتاج إلى أن نعد القضية ليست قضية الفلسطنيين، فهي قضيتنا نحن وقضية سوريا وقضية لبنان... قضية شعوبنا كلها. الفلسطينيون يواجهون ضغوطا ليست فقط ضغوطا من الخارج، وإنما من مواجهة قوات احتلال قوية محيطة بها، والمقصود بها إحاطتنا نحن والمساس باستقلالنا نحن .

إنني أشعر بشئ من الخجل عندما أرى هؤلاء الشبان الصغار يقاتلون ويستشهدون من أجلي أنا، فالمعركة أكبر منهم بكثير ولا بد من تأييدهم ومشاركتهم شعبياً.

ليس أمامنا الآن سوى أن نبحث في الوسائل التي تمكن من مساندة المجاهدين في فلسطين، وعلي الأمة العربية أن تعمل كل حساب حتى لا يتحول الأمر إلى مواجهة مسلحة نظامية رسمية بين أية دولة عربية وإسرائيل، ولكن المطلوب هو أن يترك للأهالي إمكانية الدعم المستمر بكل وسائل الدعم لهذا النشاط الفلسطيني، ليس دفاعا عن أمنهم هم فقط ، ولكن دفاعا عن الأمن الجماعي لمصر وللعرب. وشكراً.

أ. د / عمرو دراج :

أشكر المستشار/ طارق البشري علي هذا العرض المركز والأفكار التي طرحها حول طبيعة الصراع العربي – الصهيوني بصفة عامة وعلاقته الوثيقة بأمن مصر. والحقيقة هذا الكلام قد يعد استكمالا لما سبق أن سعينا إلى التأكيد عليه من خلال حلقة نقاشية أقيمت بالنادي منذ شهور قليلة، وتم نشرها بالفعل، حول علاقة القضية الفلسطينية بالأمن القومي المصري، وقد أكد سعادة المستشار بهذه المحاضرة القيمة علي بعض الجوانب التي لم تغطيها الندوة السابقة. لكنني أتصور كذلك ان هناك جوانب أخرى كثيرة سوف يزداد جلاؤها من خلال مداخلات حضراتكم كي نحيط بالأمر من أكثر جوانبه أهمية.

مداخلة:

قلتم سيادتكم أننا من الناحية العسكرية والاقتصادية والسياسية ليس باستطاعتنا أن نواجه إسرائيل مواجهة شاملة، وعقب حرب ١٩٧٣م لم يعد

هناك إمكان لإرسال إمداد مصري إلى فلسطين بالفدائيين أو الكوادر وخلافه، مما يمكن أن يتم كشفه ويقضى عليه، فماذا لو أننا طبعنا علاقاتنا مع إسرائيل وزدنا من التطبيع وأندمجنا معهم، نذهب إليهم ويأتون إلينا، ألن يصل ذلك علي المدى الطويل إلى إذابتهم في الدول العربية... فلو ذهبنا إليهم بأعداد كبيرة وكذلك استقبلناهم فهل يمكن أن تقوم حرب بيننا وأن يشن حرب علينا؟

المستشار/ طارق البشري:

هم لا يقبلون التطبيع مع للفلسطينيين أنفسهم، رغم أن الفلسطينين يعملون في أراضيهم ومصانعهم، رغم أن بإمكانهم أن يسيطروا علي الفلسطينين من خلال تفوق إسرائيل العددي فكيف الحال بنا نحن؟ وهم مجتمع غاز جان لن يطمئن إليك أبدا كمجني عليه، وخذها قاعدة لا يمكن للجاني أبدا أن يطمئن للمجني عليه، وسيظل يشعر دائما أن المجني عليه، حتى لو تصالحا، أنه يبيت له بليل.

تعقيب لنفس المداخلة:

لكن لنا الألوف من الشباب اليوم يعملون ويعيشون في إسرائيل فلو زادت أعدادهم وصارت مئات الألوف لتغير الأمر، وربما خلصنا ذلك منهم ومنعهم من السلوك العدواني لاسيما مع ضعفنا الشديد في كل مجال .

المستشار/ طارق البشري:

لو أرادوا هم ذلك أو قبلوه لفعلوها مع الفلسطينين، ونقاء العنصر اليهودي الذي قامت عليه إسرائيل لا يمكن أن يسمح بذلك. وبالمقاومة الشعبية لن نكون ضعفاء، قد يغضب البعض مما أقوله، ولكن علي أساس من استقراء تاريخي. هذا الموضوع الذي نطالب به مفاده أن الديمقراطية

الخادمة لمصالح ومطالب الشعوب هي التي يمكن أن تدعم الحركة الوطنية والقومية. وقد نجح ذلك مع الوفد، وهو اليوم مطلوب، عندما تكون الديمقراطية بمعنى المشاركة الشعبية الحقيقية ليست موجهة من الداخل ضد الحكومات إنما ضد إسرائيل. لقد نجحت لبنان في تحقيق هذا الأمر .

ولنضرب مثالا علي باكستان وأفغانستان فلا شك أن باكستان علي كل حال أقوى من أفغانستان، وعندما ضغطت الولايات المتحدة علي الدولتين عقب وقائع ١١ سبتمبر من منهما كانت الدولة التي خارت قواها أسرع وأكثر من الأخرى. إنها باكستان التي تمتلك القوة النووية وذلك لأنها لا تمتلك القوة الشعبية الداعمة لكيان الدولة.

مداخلة:

من عرض سعادتكم يتضح أنك تريد سيناريو يعتمد علي المقاومة الشعبية وهي بلا شك تحتاج إلى الإذن من جانب الأنظمة، والأنظمة في ذات الوقت ضعيفة خائفة من وطأة الخارج، وهي أيضا في نفس الوقت قوية علي الداخل وقابضة عليه بشدة ، فكيف يمكن أن يمضي هذا السيناريو في ظل إطباق الأنظمة علي الداخل ؟ إن لبنان لم تفرز المقاومة الشعبية التي حققت ما حققته إلا في ظل إنهيار الدولة.

العجيب أن الغرب اليوم يستعجل المواجهة التي يفترض أنها ستضع الأنظمة في موضع ضعف أكثر مما هي عليه، وبالتالي ستفتح الطريق أمام الانطلاق الشعبي... فهل سيكون هذا هو قدرنا المحتوم إن يكون منتهى الضعف هو نفسه منتهى القوة او مبتدؤها؟

المستشار/ طارق البشري:

إن الحكومات في بلادنا تواجه هذا التحدي، فهى تخشى من حركات شعوبها، والواجب عليها أن يكون خوفها من الخطر الخارجي أعظم، وهي لن تجد الأمن لنفسها مع قوى العولمة التي تريد في النهاية أن تقضي عليها.

ومعلوم أن السياسة الأمريكية لا ذمّة لها، ولا عهد لها، والأدلة على ذلك كثيرة لعل أشهرها ما فعلوه بشاه إيران الذي كان رجلهم الأول في المنطقة، حتى إنه عندما أخرج من بلاده رفضت أمريكا استقباله، وظلت طائرته معلقة بلا مأوى، وكذلك التلاعب الأمريكي بصدام حسين حين استخدمته وآزرته في إضعاف إيران ثم زينت له غزو الكويت وغير ذلك. ومن ناحية ثانية، فإن العولمة تستهدف في النهاية إضعاف الدولة القوية، ولذلك من مصلحة الدول المركزية عندنا أن تقوى من القوى الشعبية أو أن تترك القوى الشعبية تقوى وتتحرك ليس من أجل أن تحل محلها، إنما من أجل التوازن والتكامل، فالديمقراطية ليست أمر إضعاف الآخر، إنما هي أمر توازن.

د / عمرو دراج :

لي ملاحظة صغيرة، فقد أوضحت سيادتك أن إسرائيل موجودة لخدمة أغراض غربية ضد مصالح الأمة، فهل الموضوع فقط هو مواجهة إسرائيل؟ ألا يصح أن نضعه في إطار أكبر؟

المستشار / طارق البشري

الإطار الأكبر هو السياسة الأمريكية، وكلامنا كله عن إسرائيل المدعمة من قبل أمريكا هذا مع ملاحظة أمر مهم في هذا الصدد أن سياسة الولايات المتحدة منذ العام ١٩٤٥وحتى الآن أي لمدة ٥٧ عاما تغيرت مع

الكل، مع الاتحاد السوفيتي سابقا وروسيا لاحقا، مع الصين، أوروبا،... مع الكافة، بينما ظل الخط الثابت الوحيد الذي لم يطرأ عليه أي تغير قط هو دعمها لإسرائيل، ذلك منذ صرحت الولايات المتحدة بدعمها لقيام دولة إسرائيل والهجرات اليهودية وتقديم والسفن والتمويل والدعم المتنوع من قبل أمريكا لهذه الهجرات من عام ١٩٤٦ وما بعدها. خطاً ثابتاً لم يتغير علي الإطلاق علي الرغم من أن حكوماتنا كانت مطوعة لأمريكا في غالب هذه المدة، اللهم إلا نحو ١٥ عاما. فنحن لنا الآن أكثر من ثلاثين سنة متواصلة والصداقة الأمريكية هي الخط الثابت الرسمي في حياتنا. والرئيس السادات قال: إنه عندما سيدعم صداقته بأمريكا سيجعل أمريكا تضحي بإسرائيل ولكن الذي حدث كما نرى هو العكس.

مداخلة :

استكمالا للجوانب التي تطرقتم إليها سعادتكم لدى سؤالان :

الأول حول الدور الأوربي، وما يظهر في بعض الأوقات من محاولات بعض دول أوروبا لإبداء نوع من الاستقلال عن السياسة الأمريكية وللتعبير عن مصلحة قومية أو أوروبية متميزة. ما رأيكم في هذه المحاولات، وإمكانيات الاستفادة منها عربيا علي المدى القريب؟

الثاني حول القوة المسلحة للدولة الفلسطينية، وقدرة العمل الأهلي أو الشعبي علي الاستمرار في ظل المواجهة العنيفة القاسية التي يلاقيها.

المستشار / طارق البشري

بالنسبة لأوربا فمن المشهود أن فرنسا اتخذت موقفا أكثر تفهما للموقف العربي وللوضع الحالي، وربما ألمانيا أيضا. لكن الأمر رهين بنا نحن، فبقدر ما تستطيع أن تكون من القوة والقدرة علي الدفاع عن حقوقك بقدر ما

سيلتفتون إليك. لابد أن يجد الآخرون فيك قوة تمثل إمكانية إلحاق الضـــرر بأعدائك، وإلا ستحيط أمريكا بنا. إلى أي مدى يمكن أن توضح للآخريـن أن لدينا قدرة علي الإضرار بأعدائنا وقدرة علي النفـــع لحلفائنـــا، هـــذا هـــو المطلوب وما لم نفعل ذلك فلا نلومن إلا أنفسنا، لا أوروبـــا ولا غيرهـــا.إن الخبرة الأمريكية التاريخية الأساسيةهي خبرة المستوطنين الذين اســـتعمروا أمريكا من قرون وهذه الخبرة تعني أن امتلاك القوة يتكون منه أمـــر واقـــع فيترتب عليه حق مكتسب، وليس العكس، ولذلك فإن الحديث مع أمريكا فـــي إطار الحقوق هو حديث لا جدوى ولا طائل من ورائه. وأنا أتكلم عن مبادئ العمل مجملة أما تفاصيل هذه السياسات فيعرفها أهل الفن وهم أخـــبر بـــها، ونحن لا نتحدث عن السياسات التفصيلية .

السؤال الثاني هو الصعب حقا، وعندالتفكير فيه تعجب من أمر هـــؤلاء الفلسطينين! فالإسرائيليون يحيطون بالشعب الفلسطيني، ولا منفذ لهم بســـلاح أو بعتاد، ولذا لم يجد الفلسطينيون من حل سوى أن يكون الإنسان هو نفســـه السلاح فيصير قنبلة بشرية وقذيفة يملكها هو ويمكن أن يستخدمها فـــي أي وقت. حزب الله في لبنان كان مدعوما وتأتيه أسلحة مناسبة، الأمر مختلـــف مع الفلسطنيين، فغير ممكن لهم أن يتلقوا هذا الدعم، وهنا هداهـــم الله إلـــى الفكرة الاستشهادية، ولذلك لم تجد إسرائيل ضدهم سوى الحـــرب الفكريـــة والحرب النفسية لهدم هذه الفكرة وكسر هذا السلاح الماضي بالتشكيك فـــي جدوى هذا السلاح ومشروعيته فتطفو أسئلة من نوع هل هو حلال أم حـــرام وغير ذلك؟ كل يوم عندهم جديد من أجل إخماد الروح المعنوية القائمة وراء هذا السلاح، لكن من ناحية اخرى الأمر يحتاج إلى النفس الطويـــل، ولـــن يمكن مواصلة ذلك إذا اقتصرت الساحة علي الفلسطينيين، لابد مـــن دعـــم عربي مساند وقوي في هذا الصدد.

مداخلة :

الحقيقة أن عرض سيادتك أشعرني ببعض القلق من ناحية معينة فإنني أخشى من المراهنة علي الاعتماد علي المقاومة الشعبية، وأن نضع كل تركيزنا علي هذا الجانب ونهمل الجانب الأساسي في البناء والمقاومة، وهو البناء العلمي والبناء الاقتصادي والعسكري الخاص بكل دولة في الأمة، فهذا هو الأصل. وأخشى أيضا أن تنضب المقاومة المسلحة نفسها نتيجة الضغوط لاسيما مع شعور اليهود بنشوة الانتصار وباقتراب تجفيفهم لمنابع الأنشطة الشعبية، أخشى من الاعتماد علي هذه الموجة التي حققت نجاحا ما، فلا يمكن أن نترك الأمر لهذه المراهنة، كما أن التقدم التكنولوجي من ناحية أخرى قد جعل دعم هذه الانتفاضة صعبا جدا وربما مستحيلا، حيث أصبح عبور الحدود أمراً غير ممكن الآن.

المستشار / طارق البشري

لم أتكلم عن أن المقاومة ستكون بديلا للتقدم العلمي والبناء الذاتي ، لكن لا يمكن أن أجد طرفا ما يهاجمني وأقف صامتا، ماذا سأفعل؟ سأقاوم بقدر ما استطيع. والحدود ومراقبتها لا تزال أمراً قابلا جداً للاختراق من كل جانب من المخدرات والسلاح وسائر المهربات. لا شك أن التكنولوجيا ذات أبعاد هامة. لقد أدى الكاسيت دوراً مهماً في ثورة إيران، كما أن هذه الوسائل التكنولوجية أدت إلى العولمة في نفس الوقت الذي ساهمت فيه في بلورة أقليات متميزة وحفظت عليها لغاتها التي كانت عرضة للضياع مثل حال الأكراد .

لا يقول أحد بأن نترك التقدم العلمي، فليس الأمر أمر بدائل، فلنفعل الأمرين معاً، بل إن المقاومة وروح الممانعة هي التي تدفع الطاقات نحو الابتكار والبناء الحقيقي، لو توافرت الإرادة فسوف تستحدث الشعوب الكثير

من الوسائل، والتقدم العلمي لا يحول دون خيارات القوة، وموقف العـــراق خير شاهد، فعندما أراد العراق بناء تقدم علمي ماذا جرى له؟ فـــلا مـــهرب من المواجهة ومن ثم ماذا أمام الفلسطينين؟ بل تعال إلى جنـــوب الســـودان، هل نترك الأمر هناك على إطلاقه بحجة البناء الذاتي أو العلمـــي ولا نـــهتم بتطورات الموقف؟ والحقيقة أنني لا أقول نعمل شيئاً محدداً دون غيره ولكـن لابد أن نواجه كل المواقف بما يلائمها وأن تكون كل الخيـــارات مفتوحـــة ومتاحة امامنا.

مداخلة :

قلتم إن أمريكا لا تعرف سوى لغة المصالح والمضار، والحقيقـة أن المقاطعة الاقتصادية أثبتت دورها، وعلى ســـبيل المثـــال عندمـــا شـــعرت السودان بالضغوط وأشار إلى إمكان قطع الصمغ العربي تراجع الضاغطون وعلى رأسهم الولايات المتحدة .

<u>المستشار / طارق البشري</u>

شكراً لك لأنك ذكرتنا بهذا الجانب المهم من القضيـــة. فالمقاطعـــة الاقتصادية سلاح ذو شأن كبير في هذا الصدد، ولكنها في حاجة إلى علمـــاء يحددون لنا ماذا نقاطع وماذا يخرج عن نطاق المقاطعة بناء على دراســـات واقعية وبحوث دقيقة، وهذا يعد استكمالا للسؤال عن العلاقة بين المقاومـــة والبناء العلمي.

مداخلة :

يجب ألا ننسى في خضم هذا بالطبع معية الله تبارك وتعالى وحقيقة أنه سبحانه في النهاية سيمكن لنا كما فعل مع المستضعفين مـــن قبـــل (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم) إلى قولـــه

تعالى (ونريد أن نمن علي الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض) القصص ٤ – ٦ ، وأن ساعات الضيق والكرب دائما ما تعقبها ساعات الفرج والفتح الإلهي : (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا) ... فلا بد من بذل الوسع والجهد قدر الاستطاعة مع العلم واليقين بأن يد الله معنا .

المستشار / طارق البشري

أنا معك في كل ذلك بالطبع، والعمل الاستشهادي الشعبي إنما هو نابع من ذلك، إن هذا هو الذي يدعو الغرب إلى الخوف من الإسلام. إن قادة الغرب حين ينظرون في الخريطة العالمية يجدون أمامهم حزاما عريضا يمثله العالم الإسلامي الذي يحيط بالعالم القديم ، حزاما يمضي من المغرب بالعرض حتى وسط أفريقيا إلى شرقها ثم يصعد إلى جزيرة العرب وحتى تركيا وجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية بالعرض حتى بحر العرب ثم تمضي حتى تصل إلى أندونيسيا وماليزيا وجزر الملايو .... وهو أمر يخيف فعلا حين ينتقض هذا العالم .

مداخلة :

حضرتك تطرح خيار المقاومة الشعبية كحل لأزمتنا هل هذا هو كل ما نستطيعه من إعداد وهل مطلوب منا كلنا أن نقوم بنفس العمل ؟

المستشار / طارق البشري

كل ميسر لما خلق له، وكلها فروض كفاية، وكل الأعمال مطلوبة، من يعمل في مجالات التطوير العلمي فهو يسهم، ومن يقاطع فهو يسهم، ومن يقاتل فهو يسهم ... ويمكن أن يتم التنسيق بين هذه الأعمال وبعضها البعض. كل ما هنالك هو ضرورة توفر الإرادة والإتاحة.

د / عمرو دراج :

لكن هنا يُطرَح سؤال: إذا كانت هناك إرادة وإتاحة هل الناس مؤهلون للقيام بالأمر وتحمل تبعات القضية؟ أليس ما يجرى هو علي سبيل الفورة المؤقتة التي لا تلبث أن تبرد مع اعتياد الأمر، وأنه لا يمثل وعيا مستديما وتفكرا بالأمر متواصلا؟

المستشار / طارق البشري

إن شاء الله الناس مؤهلون، وكلما تقدمت في هذا الأمر وأظهرت الإرادة الحقيقية للمقاومة زادت فورة الناس. الناس اليوم يفورون بدون القدوة، فما البال لو كانت هناك قدوة قائدة ؟ ففي الجزائر علي سبيل المثال وعقب ثورتهم بنحو ثلاثين عاما كان الناس حين يتوجهون بالدعاء لأحد يقولون له "جعلك الله شهيدا! إن شاء الله تصير شهيدا" ، هذا ممن لم يشهد هذه الثورة، بينما شباب اليوم يشهدون الحرب بأعينهم، فلا شك أن وعيهم بالقضية سيكون أكبر.

مداخلة :

بالنسبة لمعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، هل كسرت فعلا الحاجز النفسي بيننا كعرب وبين إسرائيل أو اليهود ؟

المستشار / طارق البشري

الحقيقة أن المأساة لم تكن مجرد قضية حاجز نفسي، وتعبير (الحاجز النفسي) لعل الرئيس السادات قاله علي سبيل التمويه ولا أدري إن كان يقصده، إنما الأمر أمر عدوان غاشم قاس ومستمر، وليس أمر حاجز نفسي، ثم إنه لم يكن، ولم ينكسر أيضا، لأن العدوان موجود منذ البداية ولم

ينقطع، بل يزيد من الكراهية باستمرار ويعمقها، وكل فترة يظهر جيل يقع معه حادث كبير يذكره بهذا المكنون ويحيي فيه هذه الكراهية ويعمقها لدى هذا الجيل الجديد.

مداخلة :

هل تعد هذه المقاومة الشعبية مقدمة لما يتحدث فيه من الحرب بين المسلمين واليهود ؟

المستشار / طارق البشري

المستقبل بيد الله ونحن نتحدث في حدود ما نراه ونجمعه من أحداث وأفكار ونحاول أن نرتب للحاضر والمستقبل القريب .

مداخلة :

من أين سنحصل علي الإرادة الشعبية في ظل الكبت الحالي ؟ والإعلام يمضي ليزيل حالة الدفع التي تشعلها الأحداث في الناس، والخوف يسيطر علي الجميع ؟

المستشار / طارق البشري

نحن في قلب حالة ديناميكية وعملية الجدل والصراع هذه، وهي لم تنته بعد، وواجبنا أن نعمل على إزالة الخوف وأن نواجه الإعلام السئ المثبط بإعلام حسن ومشجع ونرجو أن تكون نهاية هذا الجدل لصالح الأمة، لكنها تظهر مخاطر شديدة حتى الآن. فمنذ سبتمبر ٢٠٠٠م وحتى الآن حدثت تموجات كثيرة ups & downs لكن الواضح أن مصيرنا لعشرات السنين سيتوقف علي ما سيجرى في الفترة القليلة القادمة .

د / عمرو دراج :

في نهاية هذا اللقاء الثري والحوار المثمر لا يسعنا سوى أن نشكر سعادة المستشار/ طارق البشري علي هذه الفرصة وعلي طرحه لتلك الأفكار القيمة، وشكراً لكم وإلى لقاء آخر ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ملحق

بعد عامين من الانتفاضة
الآثار الإيجابية لاستمرار المقاومة الفلسطينية
وأهمية تقديم الدعم الكامل لها

بقلم : الأستاذ الدكتور / عمرو دراج
نائب رئيس مجلس إدارة نادي أعضاء هيئة
التدريس – جامعة القاهرة

في الوقت الذي تتصاعد فيه وتيرة التهديدات على نظام الأمن القومي العربي، من عدوان وشيك على العراق، إلى إرهاصات بإحداث تغييرات شاملة في الخريطة السياسية للمنطقة العربية على امتدادها، تتجاوز انتفاضة الأقصى المباركة الآن عامها الثاني بعدة شهور وهي لا تزال في قمة نضجها وفاعليتها، وتعطي الأمل الوحيد لإمكانية المقاومة والردع للعدوان الصهيوني المدعوم أمريكياً، في ضوء التفوق العسكري والتكنولوجي الواضح له على جميع الجيوش النظامية العربية، وتشكل بذلك الورقة الرئيسة التي يمكن بها إحداث ضغطٍ ملموسٍ لاسترداد الحقوق المسلوبة وتحقيق المكاسب في أي إطار سياسي تفاوضي.

وعلى الرغم من ذلك، فإن الكثيرين في وطننا العربي أصبحوا غير قادرين على إدراك أبعاد ما تحدثه هذه المقاومة الشجاعة من آثار سلبية بالغة على الكيان الصهيوني، وهو ما يضاف بالقطع إلى خانة الانتصارات العربية في زمن عز فيه مثل هذه الانتصارات، وكما يقول د/عبد الوهاب المسيري، "فإنه ابتداء من نكسة ١٩٦٧، استفحلت ظاهرة سلبية مؤداها أن

العقل العربي أصبح قادراً فقط على رصد الهزيمة ومؤشراتها، وفي ذات الوقت افتقد القدرة على رصد مؤشرات النصر والتأثير رغم وضوحها، ومنها على سبيل المثال تراجع المد الصهيوني بعد حرب ١٩٦٧ نتيجة حرب الاستنزاف، تليها حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، ثم الانتفاضة الأولى وما أحدثته من تأثيرات، حتى الانسحاب الصهيوني المذل من جنوب لبنان وصولاً إلى ما تحدثه انتفاضة الأقصى الآن" .

ومع شديد الأسف، وفي الوقت الذي تزداد فيه الحاجة الماسة إلى استمرار الانتفاضة والمقاومة بجميع أشكالها لتحقيق الضغط اللازم على الكيان الصهيوني، ولضرب المثل وإعطاء النموذج للأمة العربية لما يمكن أن تفعله المقاومة الصلبة من إفشال للمخططات العدوانية الاستعمارية ووقف للهجمات الشرسة، في هذا الوقت الحرج، بدأ يظهر سيل من الكتابات والتحليلات والتصريحات على امتداد الأمة العربية، بما فيها بعض رموز السلطة الفلسطينية، مؤداها وجوب إعادة النظر في استمرار الانتفاضة وعسكرتها (وليس فقط العمليات الاستشهادية داخل أراضي ١٩٤٨م) لما يجره ذلك من ويلات على الشعب الفلسطيني، ويعرضه للاعتداء والمذابح، ويشوه صورته أمام العالم بلجوئه إلى "الإرهاب" و"العنف" مما يقلل فرصة حصوله على أية مكاسب سياسية، واستعادة أي من حقوقه المسلوبة، وعلى سبيل المثال، فقد قال محمود عباس (أبو مازن) الرجل الثاني في منظمة التحرير الفلسطينية والمرشح الأول لخلافة الرئيس عرفات في محاضرة شهيرة مؤخراً: "إن عسكرة الانتفاضة جلبت الدمار والبلاء للفلسطينيين"، ونلمح في باقي المحاضرة أن المطلوب هو وقف الانتفاضة بالكلية (وليس فقط عسكرتها) ، كما دعا وزير الداخلية الفلسطيني السابق عبد الرزاق اليحيى إلى وقف إلقاء الحجارة! وبدأ الكثيرون ينادون بإفساح المجال للجهد الدبلوماسي والمفاوضات والاعتراض السلمي فقط، مع محاولة مد الجسور

مع قوى السلام الإسرائيلي (مرة أخرى !)، ومن ذلك ما صدر عن الرئيس عرفات في ٢٠ / ١١ / ٢٠٠٢م من ترحيب بالزعيم الجديد لحزب العمل (متسناع)، مع ثقته في أنه سيكمل الطريق الذي بدأه " شريك السلام " إسحاق رابين، على الرغم من أن رابين، كما يذكر فهمي هويدي، هو الذي دعا إلى تكسير عظام الفلسطينيين في انتفاضة ١٩٨٧م، وأن الرجل الذي كلف بتنفيذ هذه السياسة كان متسناع شخصياً.

والمشكلة، كما يقول هويدي أيضاً، أن الإعلام العربي ينقل إلينا يومياً صورة شبه مفصلة لما يفعله الإسرائيليون بالفلسطينيين، في حين لا يتابع على نحو دقيق التفاعلات الحاصلة داخل إسرائيل نفسها، أي أننا نستشعر جيداً الوجع الفلسطيني، ولكننا لا نعرف كثيراً عن الوجع الإسرائيلي، وعن المأزق الذي يتعرض له الكيان الصهيوني بما يمس هويته ومستقبله القريب والبعيد.

نعم هناك الكثير من الآلام والخسائر على الجانب الفلسطيني، إلا أن الإطار الصحيح لوضع هذا كله هو إطار " التضحيات " للحصول على الحقوق المسلوبة، فلا يعرف التاريخ أي شعب استطاع تحرير أرضه واسترداد حقوقه إلا بعد تقديم التضحيات التي تفوق ما يحدث في فلسطين الآن (مليون شهيد في الجزائر، تضحيات الشعب الفيتنامي، شعب جنوب أفريقيا....إلخ).

وفي ظل هذا السيل المنهمر من الكتابات والأقوال التي تدعوا إلى الإحباط وتثبيط الهمم، نرى بريقاً من النور يتمثل في عدد محدود من الدراسات والمقالات التي توضح الجانب الآخر للأمر، وتبين الآثار الإيجابية التي تحدثها المقاومة الفلسطينية، رصداً من وسائل الإعلام الإسرائيلي ذاتها، مما يشجع على استمرار هذه المقاومة ودعمها بكل ما

أوتينا من قوة، وقد رصد كاتب هذا المقال بعض هذه الكتابات ورأى أنه من المفيد عرض خلاصتها عرضاً مختصراً يوضح للمثقف العربي الجزء المملوء من الكوب، لكي نستعيد الثقة في أنفسنا وفي قدراتنا، ولكي نبذل كل طاقاتنا لإحباط المحاولات المستمرة للنيل من الانتفاضة، سواء عن قصد أو عن غير قصد، وقد يكفي في هذا المجال نقل ما نشر بالفعل عن توماس فريدمان، أحد الكتاب الأمريكيين المعروفين بموالاة الصهيونية: إذ يقول " لقد أدت الانفجارات الانتحارية خلال شهرين متواصلين إلى قلب البلد رأساً على عقب، وأفقدت إسرائيل الشعور بالأمن أكثر من عمل أي جيش عربي خلال الخمسين سنة الماضية، وفي الوقت نفسه فإنها جعلت الصهاينة أكثر استعداداً من أي وقت مضى للتخلي عن الأراضي الفلسطينية "،أو ما نقل عن صحيفة معاريف الإسرائيلية بالحرف الواحد : " إن العمليات التي جرت خلال الانتفاضة أوقعت من القتلى الإسرائيليين أكثر مما يحلم به أي جيش عربي نظامي ".

وسيحاول الكاتب في هذا العرض رصد أهم الآثار الإيجابية للانتفاضة، رصداً واقعياً مادياً، بعيداً عن العواطف والشعارات، لكي يقتنع كل متردد بأهمية وجدوى استمرار هذه المقاومة على طريق تحقيق النصر واستعادة الحقوق كاملة بإذن الله.

ويمكن لكي نتفهم الآثار الإيجابية لاستمرار المقاومة الفلسطينية، أن نضعها في إطار عريض يتمثل أساساً في إفشال المخططات الصهيونية وعرقلتها، أو على الأقل تعطيلها، بداية من ترحيل أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين خارج أراضيهم (سياسة الترانسفير)، إلى الاستمرار في التوسع مع تحقيق الأمن الكامل، إلى تثبيت أركان الدولة الصهيونية كدولة صناعية من الطراز الأول لها دور الريادة في المنطقة، مع نفوذ قوي في جميع أنحاء العالم.

وقد ظهر حديثاً في عدد من المحافل الإعلامية العربية، عرضاً لما يعرف بالخطة الاستراتيجية للكيان الصهيوني حتى عام ٢٠٢٠م، والتي عكف على إعدادها مائتان وخمسون من كبار العلماء والخبراء الإسرائيليين واليهود من داخل إسرائيل وخارجها، لمدة ثلاث سنوات من عام ١٩٩٤م حتى ١٩٩٧، وذلك في صورة ثمانية عشر مجلداً تغطي جميع المحاور ذات الصلة، وقد قام الباحث الفلسطيني المعروف د / سلمان أبو ستة مؤخراً ببذل جهد ريادي لعرض وتلخيص هذا المخطط، وهو يهدف في ذلك إلى توضيح أبعاد هذه الخطة لصانع القرار، وكذلك المثقف العربي، لكي نقوم أولاً ببذل الجهد لإفشال مثل هذه المخططات وإضعاف تأثيرها، وثانيا (وهو الأهم) بإعداد مخططاتنا الخاصة لتطوير قدراتنا ثم تحويل هذه المخططات إلى قرارات وسياسات تنفيذية .

ولا يتسع المجال هنا لعرض مثل هذا الأمر تفصيلياً، إلا أن الجانب المهم في سياق هذا المقال، هو إظهار قدرة الانتفاضة والمقاومة الفلسطينية على أن تكون القوة الوحيدة على الساحة حالياً التي تعرقل مثل هذه المخططات وتربكها، حيث إن الخبراء الصهاينة في وقت وضع هذا المخطط قد درسوا كل السيناريوهات والاحتمالات، إلا أنهم لم يضعوا في حسبانهم إطلاقاً قيام مثل هذه المقاومة بعد الأجواء التي تلت أوسلو، وما ظهر من استقرار واستتباب الأمور للدولة العبرية في هذا الوقت، أي أن الانتفاضة قوضت الافتراض الرئيس للخطة بوجود مستوى ملائم من الأمن يسمح للكيان الصهيوني بالانطلاق، كما أنها عرقلت وما زالت تعرقل الهدف الرئيس للخطة من استعداد لتثبيت أقدام إسرائيل في المنطقة مع عدم الاعتراف بأي من الحقوق العربية، وأظهرت إمكانية تعبئة المجتمع الفلسطيني وتنظيمه بما يحبط من خطط السيطرة الإسرائيلية المطلقة على فلسطين، مع شحذ روح المقاومة أمام مخطط التطهير العرقي الذي يراه

الصهاينة الآن بديلا لا مفر منه لإحكام السيطرة على كامل أرض فلسطين، حيث إن هذه الروح لن تسمح أبداً بتكرار نكبة عام ١٩٤٨ (من ذلك على سبيل المثال ما نراه من لجوء الأسر الفلسطينية التي تهدم بيوتها للبقاء في نفس الموقع المهدم داخل خيمة فوق الأنقاض دون أي استعداد للشتات مرة أخرى)، كما أنها فضحت الوجه الحقيقي للكيان الصهيوني الغاشم الذي كان في طريقه إلى إحكام السيطرة الفعلية عن طريق مخططات هادئة وسلمية في غيبة الوعي والإرادة العربية.

ويمكن رصد الآثار السلبية التالية على المجتمع الإسرائيلي (وبالتالي الإيجابية بالنسبة للقضية الفلسطينية)، من واقع الصحافة ووسائل الإعلام الإسرائيلية نفسها، وبمتابعة بعض الكتابات الشريفة التي أشير إليها سلفاً.

١-إسقاط أسس نظرية الأمن الإسرائيلي، والتي تقوم على حرمان الفلسطينيين من السلاح مع استخدام أقوى أساليب البطش ضدهم، إلا أن المقاومة باستخدام الأساليب والأسلحة البدائية المتاحة ، وبفرض مبدأ " توازن الرعب" في مواجهة " توازن القوى "، استطاعت إيقاع خسائر ضخمة بالصهاينة، حيث تعدى عدد القتلى الإسرائيليين بعد مرور ٢٧ شهراً على اندلاع الانتفاضة سبعمائة قتيل، وتعدى عدد الجرحى خمسة آلاف جريح، وهي أعداد كبيرة بكل المقاييس، وتزيد على ما فقدته إسرائيل في بعض الحروب مع دول عربية لديها جيوش نظامية، خاصة إذا علمنا أن عدد الإسرائيليين الذين لقوا مصرعهم خلال انتفاضة ١٩٨٧- ١٩٩٣ (ست سنوات) بلغ ثلاثمائة وثلاثة وثمانين قتيلاً، وبلغ عددهم في جنوب لبنان خلال ثمانية عشر عاماً بفعل المقاومة اللبنانية ثمانمائة جندي وضابط (وهو ما لم تستطع إسرائيل تحمله فآثرت الانسحاب).

كما نلاحظ أن عدد القتلى خلال شهر مارس ٢٠٠٢م وحده بلـــغ مائــة وثلاثين قتيلاً كما سقط خلال الفترة من إبريل إلى نوفمــبر ٢٠٠٢م مــا يزيد على ثلاثمائة قتيل، وهو ما يدل على أن عمليـــة الســور الواقــي الإسرائيلي (مارس – أبريل ٢٠٠٢م) لم تؤت أيـــة ثمــار فــي ردع المقاومة والتقليل من فاعليتها، بل أدت إلى عكس ذلك، ويدل على ذلـــك أيضاً ارتفاع المتوسط الشهري لعدد القتلى الإسرائيليين من ثلاثة قتلـــى في عهد باراك (١٩٩٩ – ٢٠٠١) إلى سبعة عشر في السنة الأولـــى من حكم شارون، ثم إلى حوالي ستة وعشرين قتيلاً خلال العام الثـــاني للانتفاضة، وكل ذلك يثبت أن المقاومة استطاعت ضرب منظومة الأمـن الإسرائيلي في الصميم، وبطريقة لم تتكرر خـــلال الصــراع العربــي الإسرائيلي على مدار خمسين عاماً إلا في مرات معدودة (مثــل حــرب أكتوبر ٧٣ أو المقاومة اللبنانية لحزب الله في الجنوب اللبناني).

٢-أدت الانتفاضة إلى عرقلة الأحلام الاســـتيطانية والأطمــاع التوسـعية الصهيونية، ويمكن فهم ذلـــك بالمقارنـــة مـــع التصــورات والخطــط الإسرائيلية القائمة على اتفاقيات أوسلو، والتي قــامت علــى أســاس أن تلعب السلطة الفلسطينية دوراً رئيساً في تسخير الجمـــاهير الفلســطينية لصالح الكيان الصهيوني، واطمأن المستعمرون إلى ذلك الأمر بـــالفعل، وتصوروا أنهم قادرون على الاستمرار في زيادة المستوطنات دون دفــع أي ثمن، وعلى سبيل المثال وصلت الطمأنينة الزائفـــة إلـــى درجـــة أن الخريطة السياحية التي أصدرها المجلس الإقليمي لمســـتوطنات غــور الأردن قبل اندلاع الانتفاضة لا يظهر عليها أي قرى أو مـــدن عربيـــة، وكأنها قد محيت من الوجود! وبالفعل فإن مســـاحة المســتوطنات فــي الضفة الغربية وقطاع غزة قد تضاعفت خـــلال الفــترة مــن ١٩٩٣م (تاريخ اتفاقية أوسلو) إلى عام ٢٠٠٠م، وكما ذكرت صحيفة هـــآرتس

الإسرائيلية (سبتمبر ٢٠٠١) أن سكان مستوطنات غور الأردن على سبيل المثال كانوا مقتنعين تماماً بأنهم على وشك دخول مرحلة من الانتعاش، وكان الشعار " فلننتقل إلى بيت خاص، في مستوطنة متميزة، ولنتمتع بالهدوء والاستقلال في أجمل بقعة في وادي غور الأردن "، وقد أظهرت الانتفاضة تبخر هذه الأحلام، وتحولت معظم المستوطنات إلى مساكن للأشباح، وتدنت نسبة الإشغال بها إلى أرقام غير مسبوقة.

٣-تظهر الآثار الإيجابية للانتفاضة والمقاومة الفلسطينية بصورة جلية فيما أحدثته من أزمة في الاقتصاد الإسرائيلي وذلك في بعدين رئيسين هما انهيار ثقة الجمهور ورجال الأعمال والمؤسسات المالية في الاقتصاد من جهة، وتدهور معظم المؤشرات الاقتصادية الإسرائيلية من جهة أخرى. ويمكن رصد العديد من مظاهر الأزمة الاقتصادية الإسرائيلية تحت وطأة الانتفاضة على النحو التالي :

- ارتفاع الأموال التي يتم تحويلها إلى خارج إسرائيل إلى ٢,٨ مليار دولار في عام ٢٠٠١م، وذلك بنسبة ارتفاع ٨٠% مقارنة بالعام السابق، وبعدة أضعاف مقارنة بعام ١٩٩٨م.

- ارتفاع نسبة العجز في الموازنة عام ٢٠٠١م إلى ٣% ويتوقع لها أن تصل إلى ٦% في عام ٢٠٠٢م.

- انخفاض نسبة النمو في الاقتصاد الإسرائيلي من ٦% قبل الانتفاضة إلى معدل سالب – ٠,٦% عام ٢٠٠١م، وهي أقل نسبة نمو في تاريخ إسرائيل، وبالتالي فقد الاقتصاد الإسرائيلي نحو سبعة مليارات دولار، كان من الممكن الحصول عليها لولا الانتفاضة، وهذا المبلغ يوازي كل ما تتلقاه إسرائيل سنوياً من منح ومعونات من الحكومة الأمريكية ويهود العالم والشركات الغربية الداعمة لها والتعويضات

الألمانية التي ما زالت تتلقاها. ولإدراك فداحة هذه الخسائر، يمكن المقارنة بحرب أكتوبر ١٩٧٣م التي كلفت الاقتصاد الإسرائيلي ٥ مليارات من الدولارات. وقد تراجع الناتج المحلي الإجمالي الإسرائيلي بنسبة ٤,٢% في الربع الأول من عام ٢٠٠٢م مقارنة بالربع الأول من عام ٢٠٠١م، وبالتالي يعيش الاقتصاد الإسرائيلي في حالة ركود حقيقي.

- انخفاض متوسط دخل الفرد في إسرائيل من حوالي ٢٠ ألف دولار إلى ١٦,٣ ألف دولار سنوياً.

- ارتفاع معدل البطالة من ٨.٨% سنوياً عام ٢٠٠٠م إلى ٩,٣% عام ٢٠٠١م وتجاوز ١١% في عام ٢٠٠٢م (مع ملاحظة أن حالة التعبئة العسكرية التي تشهدها إسرائيل منذ اندلاع الانتفاضة، واستدعاء جانب من الاحتياطي، يساعد إسرائيل على إظهار رقم مخفف للبطالة).

- ازدياد معدل التضخم من حوالي ١.١% عام ٢٠٠٠م إلى ما يزيد عن ٣,٥% عام ٢٠٠٢م، مع إشارة بعض المصادر إلى تجاوز هذا الرقم ٦.٦%، وقد تزامن هذا مع حالة الركود المشار إليها سابقاً، وهو أسوأ ما يمكن أن يمر بأي اقتصاد.

- الاضطرار إلى زيادة نفقات الدفاع والأمن بصورة واضحة بالاضافة إلى تكلفة استدعاء الاحتياطي (قدرت نفقات استدعاء ٢٠ ألف من الاحتياطي في مارس ٢٠٠٢م بنحو ١٢٥ مليون دولار شهرياً، ولا يشمل ذلك تكلفة أيام العمل التي سيفقدها جنود الاحتياط).

- بلغ العجز التجاري عام ٢٠٠١م مبلغ ٢٦٠٠ مليون دولار، وانخفضت الصادرات بنسبة ١١% .

- انهيار قطاع السياحة، بحدوث خسائر تزيد على ٦٠٠ مليون دولار وتم الاستغناء عن نحو ٤٠% من العاملين في قطاع السياحة والفنادق، ووصلت بالتبعية خسائر شركة العال الإسرائيلية للطيران إلى ١٦٠ مليون دولار عام ٢٠٠١م.

- تقلص قطاع البناء والعقارات بما يزيد عن ١٠% وانخفضت نسبة المبيعات بما يزيد عن٢٢% .

- تعرض قطاع الصناعات التكنولوجية المتقدمة، وهو الذي يعد أحد أهم قاطرات الاقتصاد الإسرائيلي، إلى انهيار شامل، وتراجعت الاستثمارات الأجنبية في هذا القطاع من ١٣ مليار دولار عام ١٩٩٩ إلى أقل من مليار دولار حاليا، وبدأ العديد من الشركات الأجنبية العاملة في إسرائيل بالانسحاب منها.

- تراجعت قيمة مؤشر بورصة تل أبيب من ٥٥٥,٢ نقطة في سبتمبر إلى ٤٦٠,٨ نقطة في نهاية عام ٢٠٠٠م (فقد ١٧% من قيمته)، واستمر في الانخفاض إلى ٣٥٠,٢ نقطة في أغسطس ٢٠٠٢م، وحتى ذلك التاريخ فإن مؤشر البورصة في تل أبيب انخفض بنحو ٣٦,٩% من قيمته قبل اندلاع الانتفاضة.

- وصل عدد الإسرائيليين الذين تجاوزوا خط الفقر إلى ١,٢ مليون نسمة، وهذا يعني، كما يقول فهمي هويدي ، أن خمس السكان مرشحون لحزم حقائبهم والرحيل عن البلاد .

وفي حقيقة الأمر، فإن هذه المؤشرات توضح أن الاقتصاد الإسرائيلي كان من الممكن أن ينهار انهياراً تاماً لولا المساعدات الخارجية، وخصوصاً المساعدات الأمريكية الاستثنائية، وقد أظهرت التقديرات المنشورة مؤخراً أن جملة المساعدات الأمريكية التي وصلت إلى إسرائيل خلال العقود الثلاثة الأخيرة يتجاوز ١٦٠٠ مليار دولار، وهو ما يشكل مبلغ ٥٧٠٠ دولار للفرد الواحد إذا وزعت على عدد سكان البلدان العربية حاليا! وهذا يوضح تماماً أن الدولة الصهيونية هي مشروع الغرب في المنطقة منذ عهد الاستعمار التقليدي إلى العهد الاستعماري الأمريكي الراهن.

٤-استطاعت الانتفاضة نقل المعركة إلى الإسرائيليين في عقر دارهم مما أفقدهم الإحساس بالأمن والاتجاه لفترات زمنية طويلة وممتدة، وزرع الرعب في قلب المجتمع الإسرائيلي، ويبدو هذا واضحاً بمتابعة وسائل الإعلام الإسرائيلية بصفة أساسية، والتي تشير إلى الانتفاضة، ليس بهذه الصفة، ولكن بأنها حرب استنزاف، وتنقل بصفة مستمرة قصص نزوح الإسرائيليين خارجها والرسائل التي يكتبها بعض جنود الاحتياط لتعكس الخوف والإحباط، وحتى النكات الشائعة والتي تشير إلى الحياة المحفوفة بالمخاطر، وإلى حضارة "البقاء في المنزل" ، مما جعل الصورة العامة في الكيان الصهيوني قاتمة إلى حد كبير، خاصة أن الأغلبية الإسرائيلية في جميع استطلاعات الرأي ترى استحالة القضاء على الانتفاضة بالقوة، وفي الوقت نفسه عدم إمكانية التوصل إلى اتفاقات سلام مستقرة مع الفلسطينيين، وأدى ذلك كله إلى إحداث آثار نفسية كبيرة نتيجة فقدان الإحساس بالأمن، وعلى مدى زمني طويل وممتد على عكس ما يفضله الإسرائيليون من أسلوب الحرب الخاطفة في معاركهم. ونقلت وسائل الإعلام الإسرائيلية العديد من مظاهر هذه الآثار النفسية مثل زيادة المرتادين على عيادات الأطباء للعلاج من التوتر والقلق، وزيادة عدد

الباحثين عن المساعدات النفسية، بالإضافة إلى ما أفادت به شركات الأدوية بارتفاع نسبة استهلاك المهدئات والمسكنات بنسبة ٥٠% (يديعوت أحرنوت – ١٤ / ٢ / ٢٠٠٢م).

ويشرح د / عبد الوهاب المسيري مؤدى كل ذلك من تفشي ظاهرة يسميها علماء النفس " العجز المكتسب "، والتي هي عبارة عن " سلوك سلبي ينشأ من الإدراك أن لا وسيلة لتجنب آثار مؤلمة، ومن عدم اليقين بخصوص أي شئ "، وقد توصل العلماء إلى أن ظاهرة العجز المكتسب في المجتمع الإسرائيلي تنطوي على أخطار كثيرة مثل الشلل من جهة، والتطلع من جهة أخرى إلى حلول سحرية تقضي على المشاكل بضربة واحدة (وهو ما تحقق بالسير وراء شارون الذي قدم نفسه كقائد قوي وعد بإعادة الأمور إلى نصابها بضربة واحدة). وبطبيعة الحال، فإن هذا الشعور يتعزز بما يراه الإسرائيليون من انهيار في الجانب الاقتصادي، والذي قد لا يعني الكثير في حد ذاته، إلا بمقدار تأثيره على وجدان الإسرائيليين، وعلى رؤيتهم، ومن ثم على سلوكياتهم، كما سيظهر في النقاط التالية. والمفارقة التي يرصدها فهمي هويدي، هي أن المجتمع الفلسطيني الأعزل على الرغم من كل ما أصابه من تنكيل ودمار، لم يعرف الخوف، بل يزداد صلابة وعناداً يوماً بعد يوم، بينما المجتمع الإسرائيلي المدجج بأحدث الأسلحة، والمحتمي بالقوة النووية، فضلاً عن الدعم الأمريكي، هو الذي أصبح مسكوناً بالخوف، وذلك كما يقول " هو جوهر الفرق بين الذين يريدون الدنيا والذين يريدون الآخرة".

٥–من أهم ما تحققه الانتفاضة الفلسطينية، هو إسقاط الإجماع حول الاستيطان، فالاستيطان هو في الحقيقة جوهر الصهيونية، ويساعد على ذلك التغير الجوهري الذي حدث في نوعية المستوطنين عما كانت عليه حتى عام ١٩٦٧ تقريباً، فحتى ذلك الوقت كان المستوطن يعد رائداً، يأتي لأرض بكر عذراء يستولى عليها ويطهرها من سكانها ثم يحرثها

ويزرعها ويحرسها بنفسه، ويعيش حياة متقشفة ويدين بالولاء للأيدولوجية الصهيونية التوسعية، وكان يعد طليعة الشعب اليهودي والقوة العسكرية الإسرائيلية، إلا أن المستوطنين الجدد في الضفة والقطاع يطالبون الجيش الإسرائيلي وأجهزة الأمن الأخرى أن يضمنوا لهم نوعاً من العيش المتميز في المناطق المحتلة، وأن تكون حياتهم مكفولة أمنياً. وقد ظهر السخط على هذا النوع من الاستيطان الفاخر مع انتفاضة ١٩٨٧م، حتى إن رابين وصف المستوطنين بأنهم يشكلون عبئاً على المؤسسة العسكرية (جيروزاليم بوست- ٤ /٢/ ١٩٨٨)، إلا أنه بعد اتفاقية أوسلو تراجع السخط على الاستيطان الذي استفحل وتضخم بعد صمت معظم الأصوات المعارضة، ولكن مع اندلاع انتفاضة الأقصى، عاد الهجوم على المستوطنات مرة أخرى من قبل سكان فلسطين المحتلة قبل ١٩٦٧م، وزادت الإشارة إليها باعتبارها "ورماً" و " سرطاناً يأكل المجتمع الإسرائيلي "، وارتفعت الأصوات التي ترى أن الاستيطان قد أطال حدود المواجهة مع الفلسطينيين إلى نحو ألفي ميل مما يفرض على إسرائيل عبئاً أمنياً كبيراً، وانه هو السبب الرئيس في كثير من المشاكل الاقتصادية، وكذلك في توجيه الأموال بعيداً عن برامج الضمان الاجتماعي والتأهيل وتحويلها إلى نفقات متزايدة تذهب لحماية الاستيطان "مكيف الهواء". وقد أدى ذلك إلى تقويض الروح المعنوية في المستوطنات، وفاق في العديد منها عدد المغادرين مجموع السكان الجدد والتكاثر الطبيعي.

ويوضح كل ذلك بما لايدع مجالاً للشك أن الانتفاضة والمقاومة هي السبيل الوحيد لوقف خطط الاستيطان، أو عرقلتها وتعطيلها على أقل تقدير، وأن المستوطنات تنمو وتزدهر في أجواء "السلام" مثل تلك التي أعقبت أوسلو، والتي لم تعطِ الشعب الفلسطيني إلا الوهم. ويرصد د / إبراهيم

البحراوي تغير نظرة الإسرائيليين إلى المستوطنات مع تقدم الانتفاضة، حيث نشرت جامعة تل أبيب في مقياسها الشهري لاتجاهات الجماهير في يونيو ٢٠٠١ أن ٥٨% من اليهود الإسرائيليين يرون أن المستوطنات تسهم في تقوية المصلحة الوطنية الإسرائيلية، في حين اعتقد ٣٣% أنها تضر هذه المصلحة، اما في يونيو ٢٠٠٢م، فقد أوضح نفس المقياس أن ٥٤% من اليهود يرون أن المستوطنات تضعف كلياً أو إلى حد كبير المصلحة الوطنية، في حين أن ٣٥% اعتقدوا أنها تقوي المصلحة الوطنية كلياً أو إلى حد كبير، ويخلص د / البحراوي من ذلك إلى نتيجة مؤداها أن " الانتفاضة قد زحزحت الأطماع التوسعية، ومازالت تعمل عملها في دفع هذه الأطماع إلى الانكماش الجبري في الذهن الجماعي الإسرائيلي".

وينصب سقوط الإجماع الصهيوني أيضاً على بعض الرموز الاستيطانية الأخرى مثل الطرق الالتفافية والحواجز الأمنية، فالأولى تستهلك نفقات باهظة دون عائد اقتصادي يذكر، وثبت عدم قدرة الجيش الإسرائيلي على تأمين حركة المستوطنين عليها تأميناً كاملاً، أما الحواجز الأمنية، فعلى الرغم مما يحدث عليها من تنكيل وبطش بالفلسطنيين، فإنها كرمز للسيطرة سقطت بامتياز، حيث أصبحت من أهم نقط التماس والاحتكاك والعمليات الفلسطينية الفدائية، بدلاً من أن تكون رمزاً للإذلال والتحكم والسيطرة إذا قبل به الفلسطينيون قبولاً تاماً.

٦-أدت الانتفاضة إلى إسقاط الإجماع الصهيوني حول فكرة إسرائيل الموحدة بين الأراضي المحتلة قبل عام ١٩٦٧م وبعده، حيث برزت فكرة الفصل لتحقيق الأمن، ويرى د / إبراهيم البحراوي في ذلك علامة على اليأس الإسرائيلي من قهر المقاومة الفلسطينية بالقوة، وأنهم بعد فشل عملية السور الواقي اضطروا إلى حماية أنفسهم بسور من الأسمنت والأسلاك، وهذا في واقع الأمر متوافق إلى حد بعيد مع ميل اليهود

بطبعهم إلى التقوقع والتحصن داخل حصون منيعة، إلا أنه، وعلى مدار التاريخ ثبت فشل ذلك في تحقيق الأمن والسلام لهم، بدءاً من انهيار حصون خيبر وبنو النضير وبنو قريظة، وحتى انهيار حصون خط بارليف عام ١٩٧٣ أمام هجوم الجيش المصري الباسل.

٧-أدت الانتفاضة واستمرارها إلى تزايد أعداد الرافضين والفارين من الخدمة العسكرية، من ناحية لعدم الاقتناع بجدوى دحر الانتفاضة رغم كل وسائل البطش، ومن ناحية أخرى للخوف من الموت والرغبة في الحياة بمتعها ولذاتها وترفها وعدم الثقة في أي وسيلة تحقق الأمن، حتى الدبابة (ميركافا)التي تم تحطيمها عدة مرات بطرق بدائية بسيطة، بالإضافة إلى فقد لياقة الجيش ، كما ذكر اللواء حسن البدري مؤرخ الجيش المصري (رحمه الله) " أن أي جيش نظامي يستمر في قمع مواطنين مدنيين أكثر من عام يفقد لياقته العسكرية تماماً". وقد وصل عدد الفارين من الخدمة العسكرية عام ٢٠٠٢م إلى ٢٦١٦ جندياً أغلبهم من جنود الاحتياط، في حين كان عددهم ١٥٦٤ جندياً في عام ٢٠٠١م (ارتفاع بنسبة ٧٦,٢%). وتشكل حركة رفض الخدمة العسكرية خطراً حقيقياً على القدرة العسكرية الإسرائيلية، وكما ذكرت صحيفة يد يعوت أحرونوت (٢٨ / ١ / ٢٠٠٢)، فإنها تسمم الجيش الإسرائيلي من الداخل، وتؤدي إلى خفض المساهمة الكمية في الجهد العسكري. وتتميز حركة رفض الخدمة بأنها ليست مجرد فعل فردي أو حتى اتجاه تلقائي عام، وإنما عملية جماعية منظمة وضعت هدفاً واضحاً لها، وهو الضغط على الحكومة الإسرائيلية للانسحاب من الأراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧م، وهناك سابقة واضحة لهذا الأمر في جنوب لبنان، حيث تزايد عدد رافضي الاشتراك في العمليات العسكرية في لبنان حينما تصاعدت المقاومة ضد جيش الاحتلال.

٨-من أهم الآثار الإيجابية للانتفاضة واستمرار المقاومة هي حركة النزوح عن إسرائيل، أو الهجرة العكسية منها، حيث تشير التقديرات إلى اقتراب العدد الكلي للنازحين عن إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ إلى حوالي المليون، وهو ما يقوض من شرعية الحركة الصهيونية ويكشف زيف الادعاءات الصهيونية بخصوص ارتباط اليهود ارتباطاً عضوياً بأرض الميعاد، وأهم من ذلك فإنه، كما يقول د / المسيري، يعد ضربة في الصميم لمقدرات المشروع الصهيوني (الاستيطانية / العسكرية).

وتشير جميع استطلاعات الرأي الإسرائيلية مؤخراً إلى ارتفاع نسبة الشباب الإسرائيلي الذي يفكر في الهجرة، أو الذي يسعى إلى الحصول على جواز سفر آخر، خاصة في ضوء ما تعرض له قطاع التكنولوجيا العالية من ضربات مؤخراً كما سبق ذكره، كما تزايد عدد من يسعون إلى شراء العقارات في الخارج بنسبة ٣٠% في عام ٢٠٠٢م عن عام ٢٠٠١م، وقد دلت الإحصاءات الرسمية الإسرائيلية التي نشرت في ٨ سبتمبر ٢٠٠٢ أن حوالي ٢٠ ألف يهودي تنازلوا عن جنسيتهم الإسرائيلية وهاجروا إلى دول الغرب خلال السنة الأخيرة، كما انخفضت وتيرة الانتقال للعيش في المستوطنات في المناطق الفلسطينية المحتلة بنسبة ٦٣%، ويلاحظ أيضاً أن كثيراً من النازحين هم من أبناء النخب، أمثال حفيدة مناحم بيجين وابنة بنيامين بن آليعازر وابن الوزير روني ميلو وابن إسحاق رابين وابنة إيهود باراك وحفيد ديفيد بن جوريون، وغيرهم الكثير ممن ذكرتهم صحيفة يديعوت أحرونوت في مطلع فبراير ٢٠٠٢ في تقرير اعتبرته الأوساط الصهيونية فضيحة.

وعلى الجانب الآخر، فإن عدد المهاجرين الجدد إلى إسرائيل تناقص بشكل كبير تحت تأثير الانتفاضة، وتشير التقديرات أنه في حال استمرار الأوضاع على ما هي عليه، فإن المهاجرين إلى إسرائيل خلال العقد القادم

لن يزيد عن ٣٠٠ ألف من دول الكومنولث الروسي مقابل ٩٠٠ ألف خلال العقد الماضي، وذكر مقال في صحيفة التايمز البريطانية في ٤ / ١٠ / ٢٠٠٢م بعنوان "الصهيونية تفقد جاذبيتها بالنسبة للمهاجرين الروس" أنه خلال عقد التسعينات تراوح عدد اليهود المغادرين لروسيا بين ١٠٠ ألف و ٢٠٠ ألف سنوياً، بينما دخل إلى إسرائيل عام ٢٠٠١م حوالي ٥٠ ألف مهاجر فقط من جميع أنحاء العالم، وهو ما سيؤدي إلى تسارع الاختلال السكاني بين العرب واليهود، بالإضافة إلى التأثير السلبي على الاقتصاد الإسرائيلي نتيجة تناقص عدد اليهود ذوي الخبرات والطاقات العاملة.

ويشير كلا الأمرين السابقين (حركة النزوح العكسي وتناقص أعداد المهاجرين) إلى أن آثار الانتفاضة تفوق بكثير أعداد القتلى من الإسرائيليين والتي تمثل ما بين ١ : ٣ إلى ١ : ٤ من عدد الشهداء الفلسطينيين (وهي بدورها نسبة مرتفعة جداً في ضوء اختلال موازين القوى) حيث يؤدي استمرار المقاومة إلى حرمان المجتمع الإسرائيلي من مئات الآلاف الذين كانوا من الممكن أن يسهموا في تنمية الكيان الصهيوني ورفع شأنه، مما يجعل نسبة الخسائر البشرية الحقيقية بين إسرائيل والفلسطينيين تفوق كثيراً نسبة عدد القتلى إلى عدد الشهداء، بصرف النظر عن الآثار السلبية الأخرى على المجتمع الإسرائيلي.

٩-أدت جميع الآثار السابق ذكرها إلى طرح موضوع لا يحب أحد في إسرائيل مناقشته، وهو موضوع نهاية إسرائيل، وبصرف النظر عن إمكانية تحقيق هذا الأمر في المدى القريب أو البعيد، فهو مطروح الآن بقوة على قائمة الاهتمامات الفكرية والوجدانية الصهيونية، فمثلا ظهر في صحيفة يديعوت أحرونوت في ٢٧ / ١ / ٢٠٠٢م مقال بعنوان " يشترون شققا في الخارج تحسبا لليوم الأسود"، وحتى مجلة نيوزويك في عدد ٢ / ٤ / ٢٠٠٢م ظهر على غلافها صورة نجمة إسرائيل وفي

داخلها السؤال التالي: مستقبل إسرائيل – كيف سيتسنى لها البقاء، وذكرت أيضاً " هل ستبقى الدولة اليهودية على قيد الحياة؟ وبأي ثمن؟ وبأية هوية؟ " وأعرب ١٨% من الأمريكيين عن رأيهم بأن إسرائيل ستختفي من الوجود، وقال ٢٣% أنها لو استمرت في البقاء فلن تكون يهودية، ومجموع النسبتين (٤١%) يعتبر مرتفعاً للغاية، بالنظر إلى أن هذا السؤال لم يكن مطروحاً على بساط البحث قبل شهور قليلة.

١٠- نجحت الانتفاضة نجاحاً باهراً في اختراق حاجز التعتيم الإعلامي الذي فرض على الشعب الفلسطيني، وعلى ما يتعرض له من هوان ومذلة، وعلى ما يقوم به في نفس الوقت من جهاد ومقاومة، ووصل الصوت الفلسطيني إلى أجيال وقطاعات عريضة من الناس، سواء على مستوى العالم العربي، أو على مستوى الشعوب الحرة في كافة أنحاء العالم. فعلى مستوى الشارع العربي، امتد تأثير الانتفاضة إلى قطاعات عريضة من الجماهير، وخاصة من الشباب الذين ولدوا وتربوا في ظل " ثقافة السلام " ولم يكن يظن أحد أن يتفاعلوا مع هذه القضية بالصورة التي رأيناها في جميع البلدان العربية، وقد أدى ذلك إلى إعادة القضية الفلسطينية إلى جوهرها كقضية مركزية للأمة العربية من جانب، وإلى يقظة الوعي العربي وانتشار ثقافة المقاومة ورفض الهيمنة الاستعمارية بصفة عامة على الجانب الآخر، وفي ذلك أكبر الأثر لعرقلة الخطط الاستراتيجية للقوى الصهيونية والاستعمارية الأخرى على المدى الطويل.

كما أدى استمرار المقاومة الفلسطينية أيضاً إلى جعل الصمت أمراً مستحيلاً على الكثير من الشعوب الحرة في جميع أنحاء العالم، واندلعت المسيرات والمظاهرات الرافضة للبطش الصهيوني في كثير من بلدان الغرب، وانتشرت الكتابات والبيانات التي تهاجم الممارسات الغاشمة في

الأرض المحتلة وتطالب بإعادة الحقوق السليبة وإنهاء الاحتلال، وذلك من كثير من المفكرين والكتاب الغربيين، بل حتى من اليهود سواء في داخل إسرائيل أو خارجها.

١١- أدت الانتفاضة إلى حدوث تحول واضح في مفهوم الهوية لدى عرب ١٩٤٨م، وقد أظهرت استطلاعات حديثة للرأي أن مجموع من حددوا هويتهم بمحتوى فلسطيني أو عربي دونما أية إشارة للمحتوى الإسرائيلي من بين عرب ٤٨ قد ارتفع من ٤٥% عام ١٩٩٥م إلى ٦٢,٥% عام ٢٠٠١م، كما ظهر أن الشعور بالاقتراب تجاه الفسطينيين في الضفة وغزة ارتفع من ٥٠,٤% عام ١٩٩٥م إلى ٦٤,٥% عام ٢٠٠١م، وتبرز أهمية هذا العامل فضلاً عن استعادة عرب ٤٨ لهويتهم الحقيقية، إلى الآثار السلبية البالغة التي يمكن أن تحدث في الكيان الصهيوني على المدى البعيد إذا استمر هذا النمط في التصاعد.

١٢- يظل الأثر البالغ لاستمرار الانتفاضة متمثلاً في إثبات أن الإرادة الفلسطينية لم يتم كسرها، وكما يقول يوري أفنيري عضو الكنيست الإسرائيلي السابق، وهو من أوائل الإسرائيليين الذين أدركوا أن المشروع الصهيوني لا يمكن تحقيقه، " إن الجيش الإسرائيلي القوي لم ينجح حتى الآن في تحطيم العمود الفقري للانتفاضة بعد أن جرب كل شئ....إن إرادة الشعب الفلسطيني لم يتم كسرها رغم كل الضربات القاسية التي سددت إليها، وقد سبب هذا دهشة الجنرالات والمعلقين الإسرائيليين، لقد حطم اقتصاد الفلسطينيين، وأصبحت حياتهم جحيماً، ومع هذا يؤيد الجمهور الفلسطيني الاستمرار في الكفاح".

لقد أدت الانتفاضة إلى توحيد صفوف الشعب الفلسطيني وإيجاد قدر كبير من التنسيق والتعاون بين جميع فصائل المقاومة الوطنية باتجاهاتها

المختلفة في اتجاه هدف واحد، ولم تصبح العمليات الاستشهادية مقصورة على حركتي حماس والجهاد الإسلامي فقط، بل انتشرت بين جميع الفصائل الأخرى، وعلى رأسها كتائب شهداء الأقصى التابعة لحكرة فتح، والتي خرجت من رحمها السلطة الفلسطينية نفسها، ونجحت المقاومة في تحقيق نجاحات باهرة سواءً في تطوير أسلحة جديدة كصواريخ القسام ١ والقسام٢، والأحزمة الناسفة وغيرها، من وسائل بدائية للغاية، ونجحوا في تدمير الدبابة "ميركافا" فخر الصناعة الإسرائيلية والتي لم يكن من المتصور أن يستطيع الفلسطينيون تدميرها أو حتى إعطابها، وبذلك فقد سرت روح جديدة بين الفلسطينيين، مؤداها أن الشعب الفلسطيني قد تناول على الجانب العسكري قضيته بيده لأول مرة في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي، حيث كان هذا الصراع يدور قبل الانتفاضة بين الجيوش العربية وإسرائيل.

وبعد....، فإن استعراض كل ما سبق يوضح المكاسب الهائلة للانتفاضة الفلسطينية، ويبرر جدوى استمرار دعمها بكل الوسائل الممكنة، وكما يذكر د / محمد السعيد إدريس، أن هذه المنطلقات يمكن عن طريقها تقييم الانتفاضة باعتبارها أرقى صور المقاومة الفلسطينية في الظروف الراهنة، أي باعتبارها أفضل الممكن في ظل معادلة توازن القوى التي تعاني من اختلال شديد لصالح الكيان الصهيوني، مع التغييب المتعمد لمصادر القوة العربية الهائلة، إن حساب المكسب والخسارة ربما يراه البعض متمثلاً في الحجم الهائل للخسارة المادية الإسرائيلية، وكذلك حجم الخسائر في الأرواح مقارنة بالجانب العربي، ورغم أهمية هذا الحساب، فإن المعيار الأهم للتقييم هو إلى أي حد استطاعت الانتفاضة زعزعة اليقين الإسرائيلي في الدولة الموعودة وفي عرقلة خططها التوسعية والمستقبلية؟ وإلى أي حد استطاعت أن تسقط خيار الانهزام العربي أمام المشروع الصهيوني؟ وكما يقول د / عبد الوهاب المسيري " إن كفاح الشعب

الفلسطيني نجم ساطع في زمن الكذابين والمزيفين والوثنيين والواقعيين الانهزاميين، وهم نجم بدد كثيراً من الظلمة والأكاذيب، وقد أثبت الفلسطينيون مقدرة فائقة على الصمود والمثابرة والإبداع والكفاح من أجل شرف أمتنا وكرامتها ومصالحها وأمنها، ونرجو ألا يكتب عنا أننا تركنا هذه اللحظة التاريخية النادرة تفلت من أيدينا".

المراجـــــع

١-أبو ستة، د.سلمان: " خطة إسرائيل لعام ٢٠٢٠م" – مركـــز البحـــوث والدراسات السياسية– كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، محاضرة عامـــة: ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٢م.

٢-"المخطط الإسرائيلي للهيمنة والتوسع حتى عام ٢٠٢٠م" حلقتين مـــن برنامج " بلا حدود " – قناة الجزيـــرة، ٢٠ / ١١ / ٢٠٠٢، ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٢م.

٢-إدريس، د.محمد السعيد : " عامان من عمـــر الانتفاضـــة .. حســـابات المكسب والخسارة " – مجلة القدس، مركز الإعلام العربـــي، أكتوبـــر ٢٠٠٢م.

٣-البحراوي، د.إبراهيم : " رؤيتان متناقضتان للانتفاضة والمســتقبل " – الأهرام، ١٩ / ٦ / ٢٠٠٢م.

٤-البشري، مستشار طارق : " العـــرب فـــي مواجهـــة العـــدوان " – دار الشروق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٥-جاد، د/ عماد : " تأثير الانتفاضة على الداخل الإسرائيلي" – المؤتمـــر السنوي السادس عشر للبحوث والدراسات السياســـية – إســـرائيل مـــن الداخل: خريطة الواقـــع وســـيناريوهات المســـتقبل، مركـــز البحـــوث والدراسات السياسية – كلية الاقتصـــاد والعلـــوم السياســـية – جامعـــة القاهرة، ٢٨ – ٣١ ديسمبر ٢٠٠٢م.

٦-جمعة، محمد : " هل انهزمت الانتفاضة حقاً؟ " – مجلة القدس، مركـــز الإعلام العربي، أكتوبر ٢٠٠٢م.

٧-سويلم، لواء حسام : " التقييم العسكري للانتفاضة بعد عامين من الصمود " – مجلة القدس، مركز الإعلام العربي، أكتوبر ٢٠٠٢م.

٨-السويفي، سامح: " فلسطينيو ٤٨" المؤتمر السادس عشر للبحوث السياسية – إسرائيل من الداخل: خريطة الواقع وسيناريوهات المستقبل، مركز البحوث والدراسات السياسية – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة، ٢٨ – ٣١ ديسمبر ٢٠٠٢م.

٩-المسيري، د. عبد الوهاب: أ – " من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية " – سلسلة كتاب القدس، مركز الإعلام العربي، ٢٠٠٢م.

ب – " ثمار الانتفاضة " – الأهرام، ٢٠، ٢٣ فبراير ٢٠٠٢م.

جـ- " أثر الانتفاضة الفلسطينية على بنية المجتمع الإسرائيلي" – حلقة من برنامج " بلا حدود " – قناة الجزيرة، ٦ / ٢ / ٢٠٠٢م

١٠- النجار، أحمد السيد : " التراجع الدرامي للاقتصاد الإسرائيلي في ظل الانتفاضة " – مجلة القدس، مركز الإعلام العربي، أكتوبر ٢٠٠٢م.

١١- هويدي، فهمي : " إنجاز المقاومة وغلطها الكبير" – الأهرام، ٢٦ / ١١ / ٢٠٠٢م.

12- Shepherd, Robin: "Zionism Looses Appeal for Russian Jews", The Times, 4/10/2002.

رقم الايداع بدار الكتب

٤٨٤٦ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولي : X -744- 223 – 977

Bibliotheca Alexandrina
04436119